

کمال معارف

قصص عامیہ

DUDARAB



DUDARAB



مخاطبات ام مازن

كامل كيراني .

قصص علمية

# مخاطرات أم مازن

الطبعة التاسعة



دار المغارف



## ١ - فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

ما كَانَ أَسَدُهُ يَوْمًا ، وَأَتَتْهُ أَحْتَفَالًا ، حِينَ خَرَجَتْ « أُمُّ مَازِنِ »  
 مِنْ لَفَاقِهَا ، لَتَسْتَقْبِلَ الْحَيَاةَ بِقَلْبٍ طَرُوبٍ ، يَفِيضُ بِشَرًّا وَأَمَلًا ، وَقَدْ  
 الْتَفَّ حَوْلَهَا أَهْلُهَا وَعَشِيرَتُهَا الْأَذْنُونُ ، وَتَهَاوَنُوا إِلَى رُؤُوسِهَا مُسْرِعِينَ مِنْ  
 أَقَاصِي الْقَرْيَةِ ، لِيَشْتَرَكُوا فِي ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ الْبَهِيحِ .

وَكَانَتْ « أُمُّ مَازِنِ » أَصْفَرَ الْمُوَلُودَاتِ الَّتِي نَجِبَتْ وَتَرَعَرَعَتْ فِي تِلْكَ  
 الْقَرْيَةِ ، الْحَافِلَةِ بِأَهْلِهَا مِنَ التَّمَلُّ الْأَسْوَدِ الرَّمَادِيِّ .

وقد فرحت ساكنات القرية بـ «أم مازن» فرحاً عظيماً. وكانت قرية النمل مُحبّةً بوسامة هذه المولودة، فرحةً بما يبدو على سيمائها من أمارات الثجابة، مؤمّلةً فيها أحسن تأميل.

## ٢ - بنت الشيصبان

واقتربت منها «بنت الشيصبان»، وهي أكبر نمل القرية سنّاً، وأكثرهنّ تجربةً، وأقبلت على الطفلة الناشئة تداعبها، قائلةً:  
«يا لها من جميلة فاتنة! لقد فاقت - على صغرها - بنات جنسها: حسناً وملاحةً. فلنطلق عليها منذ اليوم: «أم مازن»، ولنناديها بذلك، لكرمها بهذه التكنية، ونميزها عن رفيقاتها من بنات القرية.»

وكانت «أم مازن» - كإخوتها جميعاً من النمل - مثالاً للنشاط والجد والمثابرة، تتلأل في رأسها الجميل عيون خمس برّاقة، مثنان منها كبيرتان على جانبي رأسها، وثلاث صغيرة في وسط جبهتها.

ولن يفوتني أن أحدّثكم عن قرّنها الصغيرين النابتين في رأسها. ولعلكم تعرفون أن القرون للنمل، كاليدّين للإنسان؛ فإن كلّاً منها يصلح للنس الأشياء.

## ٣ - في الطريق

وخرجت «أم مازن» من قرّبتها، للمرّة الأولى في حياتها. ثم سارت في طريقها - عائدةً إلى بيتها - بعد أن أتمت زهرتها. وما زالت تمشي متبذّرةً، ببطيئة السير في طريق مملوءة بالحصى، وهي تلقى في سبيلها، من ألوان التعب والعناء، ما لا قبلَ لغيرها باحتماله.

ولاعجب في ذلك، فإن صغار الحصى التي كانت تمرّض



«أم مازن» في طريقها، هي - على الحقيقة - جبال شاهقة بالقياس عليها! انظروا إليها، وهي تمشي جادةً مُسرّعةً في سيرها، على قدرٍ ما تستطيع

أقدامها النحيفة المتاهية في الضلالة . وتأملوا : كيف تلمس الأرض بأحدِ قرنيها ، قبل أن تخطو خطوة واحدة . فهي تتحسس الأشياء بقرنيها الأيمن مرة ، وبقرنها الأيسر مرة أخرى ، مستهينة بكل ما تلقاه في طريقها من العقبات والمصاعب ، مُتقدِّمة — في صبرٍ ومثابرة لا مثيل لهما — حتى تبلغ غايتها ، أو تموت دونها !

وكانت « أم مازن » تُحدث نفسها ، قائلة :

« يا لها من طريقٍ مُتعبةٍ شاقةٍ ! فليس يخلو مكانٌ فيها من حفرة ، أو هاوية ، أو أخدود . وليس أجدر مني بالأناة والحذر ، حتى أعود إلى قريني سالمة ! »

ولقد صدقت « أم مازن » فيما حدثت نفسها به ، فقد كانت الطريق الوعرة المخوفة ، تتطلب مهارة التثقل وحزمها ، لتخرج منها ناجية من كل سوء ، فلا تُكسر إحدى أرجلها ، ولا تصاب بأي عطب .

ولقد أصاب وصدق من سماها : ثَمَلَة . فهي — في الحق — كثيرة التثمل ، دائبة التحرك . فلا عجب إذا أطلقوا عليها هذا الاسم الذي يدلُّ على الحركة والنشاط !

ها هو ذا جبلٌ تسلَّقه « أم مازن » ، جادةً مثابرةً — على ما تحسُّ به من تعبٍ نهك قواها ، وأصنى جسمها — حتى تُدرك غايتها .

٤ — الرقيقتان

وإنها لتسيرُ جادةً ، وقد بلغ بها الإغياة كل مبلغٍ ، إذ لمحت ثَمَلَتَيْنِ — من بنات جنسها — خرجتا من القرية للاختطاب ، وقد حملتا قرعا صغيرا من فروع الثبات ، وهما عائدتان في طريقهما إلى البيت . ولقد جهدهما حمل هذا الفرع الصغير ، وقد اعترمنا أن تصلحا به إحدى عُرف القرية التي انهارت في أثناء الليل . وكان ذلك الفرع — بالقياس إليهما — كأنه جذع شجرة كبيرة !

وكانت العاطيتان تبدلان أقصى جهديهما لتجراهما ، حتى ضغفت قواهما ، وتعدَّرت عليهما أن تتقدما به خطوة واحدة إلى الأمام . ولا عجب في ذلك ، فقد كان — على صغره — ثقيلًا ، وكانت الأرض — التي تدبآن عليها — صخرية .

فلما رأتهما « أم مازن » عرفتُهما ، وأدركت ما ثمانيان من جهد ، فتقدمت إليهما ، قائلة :

« كيف أنتما؟ هلما تماون على جرّ هذا الحبل الثقيل ! »  
 ولم تضع « أم مازن » وقها عنك ، بل انضمت إلى الحاطبتين ، وعاونت  
 رفيقتها على جرّ الفرع ، حتى بلغت به ذروة التلة الصغيرة العالية .  
 ثم قالت « أم مازن » لرفيقتيها :  
 « لقد أدت واجبي — ياريفقي — فوداعاً ، وإلى اللقاء القريب ! »  
 فشكرتا لها ما بذلت — في مساعدتهما — من جهد وعناء .

### ٥ - المَطَر

ثم سارت « أم مازن » في طريقها ، حتى لقيت جمهرة من التمل ، جادةً  
 في السير . ورأت إحداها تحبل ولدها الصغير ، وقد احتضته في ثوبها  
 الشفاف . ورأت جماعةً أخرى تحبل أعواداً صغيرة — في مثل أحجام  
 الإبر — من شجر الشوح ، وبقايا ورق الأشجار الأخرى .  
 وإنها لاسائرة في طريقها — وادعةً قريبة النفس — إذ سمعت جلجلةً  
 تدوى في الفضاء ، فقفزت خائفةً مذعورة . ولم تدّر مصدر تلك الجلجلة  
 الرائدة ، لأنها لم تسمع صوت الرعد ، قبل اليوم .  
 ودعرت رفيقاتها التمال التي كانت تسعى بين الحشائش . . وأسرت  
 إلى قريتها عائدةً ، حين سمعت قصف الرعود المدوية .

أمّا صاحبنا « أم مازن » فقد سرت الرعدة في جسمها ، من فرط  
 الخوف ، وأسرت في جرّها صوب البيت . ولكنها لم تكذب تكليل  
 من خطوات ، حتى أحست كأن هراوة ضخمة هوت على رأسها بضربة  
 قاتلة . فصرخت من فرط الألم والخوف ، وهي تتدرج على الأرض :  
 « آه ! لقد تحطمت ، يارأسي المسكين ! »

ولم تكن هذه الضربة القاتلة التي كادت تذهل « أم مازن » إلا نقطة  
 كبيرة من المطر . ثم تبعها نقطة أخرى فوق ظهرها . ثم ثالثة ، ثم توالى  
 قطرات المطر . فاشتدّ جزع « أم مازن » ، وأيقنت بالهلاك . وصاحت  
 منومة تطلب النجدة ، وقد تملّكها الذعر : « أغثوني ! أدركوني ! النجدة  
 ياريفقاتي ، فإن أعدائي تأتروني لثقتلي ! »

فلم يسمع صياحها أحد ، وذهب صراخها أدرج الرياح . فأسرعت — في  
 جرّها يئسةً وسرةً — وهي لا تدري : إلى أين تقصد ، وقد غمر المطر  
 كل مكان ، والنصقت أرجلها بجسمها الصغير .

ولكنها رأت — لحسن حظها — حقلاً على قيد (مسافة) خطوات منها .

ولاحث أماتها سنابل القمح الذميمة فخيّل إليها أنه غابة. فأسرعت إلى الحقل، لتأمن غائلة المطر.

#### ٦ - بين سنابل القمح

ومشت « أم مازن » بين سنابل القمح، تبحث عن مكان جاف، ثم وقفت تسترق السمع، وتقول في نفسها:

« ترى هل بلغت الأمان؟ ترى هل يوافقني أحد من أعدائي في هذا المكان؟ ترى ماذا تخبئ هذه السنابل العالية من مفاجئات؟ ما أضلّ أحد فيها، فإني لا أسمع حركة لكائن كان. فلا أبق وحيدة في هذا الحقل الأمين. »

ولكنها عثرت بالبرود يسري في جسمها. فاشتدّ ندمها على خروجها في ذلك اليوم، وصاعب حزنها أنها بعدت عن بيتها، وتعدّرت عودتها إليه.

وقالت تنأجى نفسها، وتلومها على مخاطرتها:

« لا شك أن أخواني سيتألّمون، ويقلق بالهنّ لئيبى .. ولكن ماذا أرى؟ إني لألمح أشبه شيء بالسطح فوق هذه السنابل ... مريحى فقد وجدت بُنيى، فلا تسلك هذه الساق الطويلة، لأصبح آمنة من كل خطر. »

ولكنها لم تكذب تفعل، حتى سمعت صوتاً راعياً، يصيح قائلاً:

« من القادم؟ »

فارتعدت « أم مازن » وأصبحت - من فرط خوفها - بمنزلة بين الحياة والموت، وتدرّجت إلى الأرض مسرعة.

ثم نظرت « أم مازن »، فرأت دابة سمراء اللون، هابطة من سوق القمح. وأنعمت النظر فيها، فرأتها هائلة الجرم، طويلة الجسم، محدّدة الرأس، تشمى على أربع، ولها ذنب صغير، وعينان برّاقتان.

فقال: « أم مازن »، بصوت متهدّج، وقد استولى عليها الذعر:

« عفوا ياسيدي، واصفح عن زلّتى، فإنها غير متعمّدة ... وهأ أنت ذى تزيّنى مبلّلة الجسم! وقد أصبحت أجدر مخلوقة بالمطف والرثاء. وقد أوّيت إلى هذا المكان - لحظة يسيرة - لملى آمن الأخطار. وأتقى النوائل. ولم أكذ أستقر تحت السنابل ... »

فقاطعتها الدابة السمراء قائلة: « لملك تمنين بيتنا! »

فقال: « أم مازن »: « عذراً - ياسيدي - وصفحاً. فإن المطر قد كفّ عن الطول، فيما أظن. وفي قدرتي أن أعود أدراجي، إذا أدنيت لي، حتى لا أزعجك. »

فَقَالَتْ لَهَا الدَّابَّةُ السَّمَاءُ :

« تَرِئِي قَلِيلًا ، فَلْنِ آذِنْ لَكَ ، قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَ أُمِّي فِي أَمْرِكَ ! »

فَقَالَتْ « أُمُّ مَازَنْ » : « كَلَّا ، كَلَّا — يَا سَيِّدَتِي — لَا تَنَادِيهَا ، وَدَعِينِي أَمْضِي فِي سَبِيلِي ؛ فَإِنِّي جِدْتُ خَافَتَهُ . وَحَقٌّ لِي أَنْ أَخَافَ ، فَإِنَّ هَذِهِ هِيَ أَوَّلُ مَرَّةٍ أَخْرَجْتُ فِيهَا مِنْ قَرْبَتِي . . . . . وَلَسْتُ أَعْرِفُ أَحَدًا . . . . . »

فَقَالَتْ الدَّابَّةُ السَّمَاءُ : « إِنِّي أَجْهَلُكَ ، وَلَا أَعْرِفُ أَيَّ مَخْلُوقٍ أَنْتِ . فَمَنْ تَكُونِينَ ؟ »

فَقَالَتْ لَهَا « أُمُّ مَازَنْ » : « أَنَا نَمْلَةٌ صَغِيرَةٌ سُودَاءُ . . . . . »

فَصَاحَتِ الدَّابَّةُ : « نَمْلَةٌ أَنْتِ ؟ كَلَّا ، وَكَذَّبْتِ فِي زَعْمِكَ . فَإِنَّ أُمِّي قَدْ أَرَتْنِي نَمْلَةً — ذَاتَ يَوْمٍ — لَهَا أَرْبَعَةُ أَجْنَعَةٍ يَبِضُّ . وَلَسْتُ أَرَى لَكَ أَجْنَعَةً . . . وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكَ لَسْتِ نَمْلَةً كَمَا تَزْعُمِينَ ! »

فَقَالَتْ لَهَا « أُمُّ مَازَنْ » :

« كَلَّا ، يَا سَيِّدَتِي ، فَإِنِّي لَمْ أَكْذِبْكَ شَيْئًا مِمَّا قُلْتُ . . . . . وَإِنَّمَا أَنَا نَمْلَةٌ عَامِلَةٌ . . . . . وَلَيْسَ لِهَاتِ جِنْسِي أَجْنَعَةٌ ، مَاعِدَا الْآبَاءِ وَالْأُمَّاتِ . أَمَّا الْعَامِلَاتُ — مِنْ مِثْلَاتِي — فَلَا أَجْنَعَةَ لَهُنَّ . »

فَقَالَتْ الدَّابَّةُ السَّمَاءُ :

« أَعَامِلَةُ أَنْتِ إِذَنْ ؟ شَدَّ مَا تُضْحِكُنِي بِهَذِهِ الْمُدَاعَبَةِ الظَّرِيفَةِ ! إِنِّي لِأَحَارُ ، إِذَا حَوَّلْتُ أَنْ أَعْتَرَفَ : أَيُّ فَائِدَةٍ تَمُودُ عَلَى أَحَدٍ ، مِنْ حَشَرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي مِثْلِ ضَالَاتِكَ ؟ وَمَاذَا يَسْتَطِيعُ مِثْلُكَ أَنْ يَفْعَلَ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَقَارَةِ ؟ »  
فَأَجَابَهَا « أُمُّ مَازَنْ » : « إِنَّمَا أَبْدَأُ عَمَلِي كُلَّهُ . فَلَمْ أَزَلْ حَدِيثَةً عَهْدٍ بِالذُّنْيَا ، وَلَقَدْ دَهَمَتْنِي الْعَاصِفَةُ ، وَلَمْ أَكْذِبْ أَنْتَهَى مِنْ حَلَبِ بَقَرَاتِنَا . »

فَعَجِبَتِ الدَّابَّةُ السَّمَاءُ ، وَقَالَتْ لَهَا ، جِدَّةً مَذْهُوشَةً :

« أَيُّ بَقَرَاتٍ تَعْنِينَ ، أَيُّهَا الْبُهَاءُ ؟ أُمِّي بَقَرَاتٌ حَقِيقَةٌ ، ذَاتُ فُرُونٍ ، كَالَّتِي نَرَاهَا فِي الْحَقُولِ ؟ شَدَّ مَا طَوَّحَ بِكَ الْخِيَالُ ، فَأَصْبَحْتَ تَسْبِّحِينَ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ ، أَيُّهَا الصَّغِيرَةُ الْحَمَاءُ ! كَيْفَ تَحَاوِلِينَ أَنْ تُقْنِمَنِي أَنْ نَمْلَةً ضَيْلَةً مِثْلَكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْلَبَ بَقَرَةً كَبِيرَةً الْحَجْمِ هَاتِلَةً الْجَرِّمِ ؟ . . . هَا هَا هَا . . . ! »

فَقَالَتْ « أُمُّ مَازَنْ » : « إِنَّ بَقَرَاتِنَا — يَا سَيِّدَتِي — صَغِيرَةٌ جِدًّا .

لَهَا — لَوْ عَلِمْتَ — بَرَاغِثُ ، ضَيْلَةُ الْحَجْمِ ، تَعِيشُ فَوْقَ الْأَشْجَارِ . وَقَدْ كُنْتُ — الْيَوْمَ — أَدْعَاهُا بَقَرَتِي مُتَلَطِّفَةً ، فَيَدْرُسُ جِسْمَهَا عَلَيَّ



قطراتٍ لذيذة الطعم ، في مثل حلاوة السكر .  
 ولقد شمرتُ الآنَ بألم الجوع . فهل تأذنين لي - مَفْصَلَةً - أنْ  
 أعودَ إلى بقراني ، فأحلبها ، وأستديرَ منها طمأى الشهي ، ثم نلتقى بعدُ ؟  
 فاقتربت الدابةُ السَّراة من « أم مازن » ، ونظرتُ إليها بعينيها  
 الكبيرتين ، ثم قالت لها :  
 « كلا . . . كلا . . . لَنْ أَذْنَ لَكَ في الذَّهاب ، ولن أَسْجَحَ لَكَ  
 بالانصرافِ ، قبلَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِاسِيكِ . »

فارتفعت « أم مازن » المِسْكِينَةُ ، وتراجعتُ إلى الوراءَ مَذْعُورَةً .  
 فقالت لها الدابةُ السَّراة : « هَلُمِّي ، فَخْبِرَنِي بِاسِيكِ . . . أجيبي ! »  
 فأجابتها بصوتٍ خافتٍ مَحْزُونٍ : « اسمي : أم مازن . »  
 فقالت لها الدابةُ السَّراة : « أما أنا ، فَيَدْعُونِي بـ « أم راشد » . »  
 فقالت « أم مازن » : « ما أَبْدَعَهَا كُنْيَةً ، يا عزيزتي : أم راشد ! »  
 فاهتزت « أم راشد » قائلة :

« إني فَارَةٌ صَغِيرَةٌ ، أَسْكُنُ مع أهلي هذا العُشَّ الذي تَرَيْتَهُ فوقَ  
 رَأْسِنَا . »



فَنظَرْتُ « أم مازن » ،  
 فرأتُ - في أعلى سَنَابِلِ  
 القمح - كُرَّةَ كَبِيرَةٍ معلقةً  
 بينها . فصاحت مَذْهُوشَةً :  
 « كيف تقولين ؟ أهذا  
 هو عُشُّكِ ، يا « أم راشد » ؟  
 إنه لا يَمُوتُ يُوْتِ النمل . »

### ٧ - « أم أدراص »

وصاحت « أم راشد » تنادى أمها بأعلى صوتها . فخرجت من  
 العُشِّ فَارَةً أَكْبَرُ منها ، ثم قالت لها ، وهي تُدَانِيها :

« آه ! ها أنت ذى ، يا بُنَيَّ العزيزة . وقد كنتُ في فَلَاقٍ  
 عليك - يا « أم راشد » - فما تصنعين هنا وحدك ؟ »

فأجابها « أم راشد » :

« لست هنا وحدي ، يا أمي . فانظري إلى هذه الزائرة الصغيرة . »

فقال « أم أدراس » :

« آه ! صدقت ، يا أم راشد » ، فإنها نمت . وما أظنها إلا شاردة

سالت الطريق إلى بيتها . أليس كذلك ، أيتها النملة الصغيرة ؟ »

• • •

فلم تستطع « أم مازن » أن تُجيبها بكلمة واحدة .

فانبرت « أم راشد » قائلة :

« إنها تدعى « أم مازن » ، وقد همتها الماصفة ، فيما تقول . »

فقال « أم أدراس » : « خبريني ، يا صغيرتي العزيزة : أَلَسْتَ تَقْطُئِينَ

تلك القرية العامرة ، التي في أسفل شجرة البرقوق الكبيرة ؟ »

فأجابها « أم مازن » : « صدقت — يا سيدي — فإنَّ بيتنا هناك ،

بالقرب من جذع تلك الشجرة . »

فقال « أم راشد » : « لعلَّ أمك شديدة القلق عليك ،

بعد أن طال غيبتك ! »

فقال « أم مازن » : « تقولين : أمي ، ولست أعرف أن لي أمًا  
ولدتني ؟ »

فسألتها « أم راشد » : « أَتُضِنُّ أَنَّهَا قد ماتت ؟ »

فأجابها « أم مازن » : « ذلك ما أجعله الجهل كله . فإني لم أرها قط ! »

فسألتها « أم راشد » : « إذا فن كان يتمم ذلك بالغذاء ، في أثناء طفولتك ؟ »

فقال « أم مازن » :

« كانت مريضتنا العاملات يتممنا ، ويسهرن على راحتنا .

وإني أوكد لك أنهن لم يقصرن في تلبية رغباتنا ، والناية بأمرنا . »

فقال « أم راشد » : « أليس لك مثل ما لنا — معشر الفأر — أمًا

حنونا ، تتممك ببرها وعطفها ؟ يا لك من شقية تاعسة ! »

فقال « أم مازن » : « إن لنا — معشر الثمل — أمات . ولكنهن

يُجَسِّنْنَ في عُرقَةٍ بعينها — من عُرقِ القرية — ويفضين فيها أعمارهن ،

كلها ، ليضن .

وقد حدثوني أنني حين كنتُ إحدَى ذلك البيض الصغير . . . »

فقاطعتها « أم راشد » قائلة :

« لقد كنتُ أخسبُ أن الطيورَ هي — وحدها — التي تبيضُ ! »  
 فقالت « أم مازن » : « نعم ، وكنتُ — منذُ زمنٍ يسيرٍ — شيئاً  
 مستديراً ، غايةً في الصغر ، ولم يكن لي رأسٌ ، ولا أرجلٌ ، ولا أعينٌ ...  
 ولست أذكرُ ذلكَ الزمنَ جيداً . »

فقالت « أم راشد » ، ضاحكةً : « لقد فهمتُ ما تعنين ، فقد كنتُ في  
 ذلكَ الوقتِ جنيماً ؛ لم يتمَّ خَلْقَتُهُ ، ولم يتكون رأسُهُ بعدُ . »  
 واستأنفت « أم مازن » قائلةً : « وفي ذاتِ يومٍ انشَقَّ ذلكَ البيضُ  
 — فيما حدثتني مَرَضَتِي « أم مشغول » — وخرجتُ من واحدةٍ منه :  
 دودةٌ بيضاء . وكانت هذهِ الدودةُ هي أنا ! »

وقد كنتُ — حينئذٍ — جدُّ سعيدةٍ . وكانت الممرضاتُ يُغذّينني  
 — في ذلكَ المهد — كلَّ صباحٍ ، ثمَّ يحلّينني إلى ضوءِ الشمسِ ، ويدلّكنَّ  
 جسمي ، ويلبّقنهُ ، حتى إذا أمسيتُ حملنني إلى البيتِ . . . وقد انقضى هذا  
 الزمنُ السعيدُ إلى غيرِ عودَةٍ ؛ فما كان أظيبهُ ، وأروحَ ذِكْرَاهُ !  
 ثم أُصِبتُ بمرضٍ ، خيلَ إليَّ أن آخرتني قد قُرِبتُ ، وأصبحتُ  
 لا أستسيغُ الطعامَ ، ولا أستمرى الغناءَ ؛ ويشتُّ من البقاءِ في  
 هذهِ الدنيا ، ووطئتُ نَفْسِي عَلَى لقاءِ الموتِ .  
 . . .

وتمّةٌ سمعتُ صوتًا يصيحُ : « تَنطَلِي أيتها الدودةُ الصغيرةُ ، والتّني  
 بهذا الحَيطِ الدقيقِ ، الذي تُخْرِجِنَهُ مِنْ قَمِكَ . »  
 فليئتُ ذلكَ الدّعاءَ من فوزي . . . ولم أكُ أدفعُ ، حتى وَجَدْتُنِي  
 مَحْبُوسَةً فِي كَيْسٍ ! »

فقالت « أم راشد » مُتبرّمةً : « مَحْبُوسَةٌ داخلَ كَيْسٍ ! لوصحَّ ذلكَ  
 لاخْتَنَقَتْ ، أيتها السِّكينةُ النَّاعِسَةُ ! »

فقالت « أم مازن » : « كَلَّا ، لم أختنقُ ، بل رِمتُ نومًا عميقًا  
 وانتقلتُ — منذُ ذلكَ الحِينِ — من طَوْرِ الدُّودِيَّةِ إلى طَوْرِ النَّمْلِيَّةِ .  
 فأصبحتُ — حينئذٍ — عروسًا من عرائسِ الثَّلَلِ ، ملفوفةً في أفوافِ الحريرِ .  
 ولما استيقظتُ من سُبَاتِي ( نومي العميق ) أُلْفِيتُنِي قَدًا انتقلتُ إلى حالِ  
 مُنَايِرَةٍ لِحالِ الأولى كُلِّ المُنَايِرَةِ . فأصبحتُ مَحْلُوفَةً أُخرى وصار لي ستُّ  
 أرجلٍ ، وانقسمَ جسمي أقسامًا ثلاثةً ؛ فاستَوَلَى عَلَى الفَرَحِ ، وصِحتُ مُبتهجةً :  
 « مَرَحِي ! مَرَحِي ! لقد أصبحتُ الآنَ في عِدَارِ الخُشراتِ ! »

عَلَى أَن فرحي لم يَدُمُ طويلاً ، فقد كان قصيرَ المدّى . وقد علمتُ أُنِّي  
 كنتُ — إلى ذلكَ الحِينِ — سَجِينَةً فِي الكَيْسِ الذي حَدَّثْتُكَ عَنْهُ .

ولم أكن - حيثذ - أستطيع حراكًا . وثمة أيقنتُ بالهلاكِ  
مرةً أخرى ، وحزنتُ لذلك ، فاستسلمتُ للبكاء . «  
فصاحتِ الفأرتان : « لكِ اللهُ ، أيتها الصديقة الثائسة ! »  
واستأقت « أمُ مازن » قائلة :

« ثم ليثُ أبكى وقتًا طويلًا . وإني لفارقةٌ في أحزاني ، مستسلمةٌ  
لآلامي ، إذ طرَق سمي ديبُ خطواتٍ . فصحتُ مُؤمنةً أطلبُ  
التَّجْدَةَ . ثم شررتُ بأن ريفقائي الكبيرتين يَتَقَبَّحَنَّ تلكِ القشرةَ  
التي تُحِيطُ بجسمي . وما كِذَن يتهين من ذلك ، حتى اقتربتُ مني  
إحدى العاملاتِ ، فأمسكتُ برقبتي ، وجرتني إليها ، بكل ما أوتيتُ  
من قوة . فَصَرَخْتُ مثالةً :

« آه ! ترفقي بي - يا سيدي - فقد آلمتني أشدَّ الألم ! »

وكانت تلكِ المُرِضةُ - فيما يُخِيلُ إلي - صماءً ، لا تسمعُ .  
فقد ظَلَّتْ تَجُرُّني ، ولم تأبه لصينحائي ، ولم تصنعْ لتأوھائي ، واقتربتُ  
جمهرةً منَ العَامِلَاتِ ليساعذنَّها في ذلكِ . وما كِذَن يفعلن ، حتى  
سمعتُ صَوْتَ القِشرةِ التي تكتنِفُ جسمي ، وهي تتكسَّرُ .

وهكذا خرجتُ من سِجْنِ الضيقِ ، وأنا أضفُ ما أكونُ .  
وقد أغْيَى عَلَيَّ من فرطِ الألمِ والضنى .

ثم أحاطتْ بي المُرِضَاتُ العانياتُ ، والعاملاتُ الرقيقاتُ ،  
وظللن يَدُلْكُنَّ جسمي ، حتى أيقظنني من غشيمي ، وأعدنَّ إليَّ  
رُشْدِي بعد زمنٍ قليلٍ . ثم مرَّتْ بي أيامٌ قليلةٌ ، فشررتُ بالقوةِ تُسْرِى  
في جسدي شيئًا فشيئًا ، حتى أصبحتُ كما تَرَيَانِ ، أيتها الصديقتان !

٨ - في طريقِ النمل

فقالت « أمُ أدراص » :

« ما أَجَلُ قِصَّتِكَ ، يا « أمُ مازن » . فوداعًا أيتها الصديقة الصغيرةُ ،  
فإن زوجي « أبا أدراص » لا يزال - كما تركته - وحيدًا في  
عُشِّهِ . فلأذهبُ إليه مع ابنتي « أمُ راشدٍ » .

فودعتهما « أمُ مازن » ، وأسَّرتِ الفأرتان إلى عُشِّهما ، وحيثما  
صديقتهما ، وهما تسلقان سنايلَ القمحِ ، في خِفةٍ ورشاقةٍ .

واستخفتُ « أمُ مازن » بين سنايلِ القمحِ . ونظلتُ تواصلُ سيرها ،  
حتى وصلتُ إلى سهلٍ فسيحٍ . فلم تهتدي إلى سبيلها التي تسلكها إلى بيتها ،  
وأيقنتُ أنها قد ضَلَّتْ الطريقَ . وحارتُ في أمرها ، فلم تدر : كيف تصنعُ ؟

فَقَالَتْ لَهَا أَخْتُهَا :

« هَا أَنْتِ ذِي قَادِمَةٍ ، يَا « أُمُّ مَازَنْ » . فَمَنْ أَيْنَ أَتَيْتِ ؟ »

فَقَالَتْ لَهَا « أُمُّ مَازَنْ » ، وَهِيَ مُسْتَأْفَّةٌ سِيرَهَا :

« لَقَدْ جَلُتِ جَوْلَةً قَصِيرَةً ، فَهَمَيْتِي الْعَاصِفَةُ . »

ثُمَّ قَالَتْهَا نَعْلَةً أُخْرَى ؛ فَقَالَتْ لَهَا : « سَيِّدَ يَوْمُكَ ، يَا « أُمُّ مَازَنْ » .

أَذَاهِبِي أَنْتِ لِتَحْلِي بِقَرَاتِنَا ؟ سِيرِي مَتَيْقَظَةً حَذَرَةً ، فَإِنْ عَصُفُورًا

يَرْقُبُكَ مِنْ أَعْلَى شَجَرَةِ الْبُرْفُوقِ . فَحَذَارِ أَنْ تَذْهَبِي فَرِيسَةً لَهُ ! »

فَقَالَتْ « أُمُّ مَازَنْ » : « شُكْرًا لَكَ — يَا « أُمُّ نَوْبَةَ » — عَلَى نَصِيحَتِكَ .

وَدَاعًا يَا عَزِيزَتِي ! »

ثُمَّ أَبْصَرَتْ مَرْصَعَتَهَا « بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ » ، فَقَالَتْ لَهَا ، مَبْتَهْجَةً بِلُقْبَاهَا :

« حَيْتِ يَا « بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ » ، وَسَعِدَ يَوْمُكَ ! أَقَادِمَةُ أَنْتِ مِنْ هَذَا الثَّقَبِ ؟ »

فَأَجَابَتْهَا بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ : « صَدَقْتَ ، يَا « أُمُّ مَازَنْ » ! آه ، لَوْ عَلِمْتَ — يَا بُنَيَّتِي —

مَا أَصَابَنِي الْيَوْمَ مِنَ أَلَمٍ وَشَقَاءٍ ؟ لَقَدْ فُقِئْتُ إِحْدَى عُيُونِي ، مِنْذُ لَحْظَةٍ ،

وَقَدْ أَصْبَحْتُ — لِنَعَاسِي — لَا أَكَادُ أَبْصُرُ شَيْئًا . »

فَقَالَتْ « أُمُّ مَازَنْ » : « مَسْكِينَةُ أَنْتِ ، يَا « بِنْتَ الشَّيْصَبَانِ » ،

فَالْبَيْتُ قَلِيلًا ، فَإِنِّي سَأُصْحَبُكَ فِي عَوْدَتِكَ إِلَى الْقَرْيَةِ . »



وَلَهَا تَسِيرٌ مُتَعَسِّفَةٌ ( عَلَى غَيْرِ هُدًى ) ، إِذْ أَبْصَرَتْ لِحْصَنَ حِظَّهَا

طَرِيقَ النَّمْلِ - وَوَلَّاحَ لَهَا سَطْحُ يَتِّهَا الْعَالِي ، فَصَاحَتْ مَبْتَهْجَةً مَسْرُورَةً :

« يَا لَهَا مِنْ سَعَادَةٍ ! لَقَدْ اهْتَدَيْتُ إِلَى وَادِينَا الْعَامِرِ . »

وَلَكِنَّمَا شَعَرَتْ بِالْأَلَمِ الْجُوعِ ، فَأَثَرَتْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى بَقَرَاتِهَا لِتَحْلِبَهَا .

وَكَيْفَ أَسْرَعَتْ إِلَى شَجَرَةِ الْبُرْفُوقِ ، حَيْثُ رَأَتْ جَهْرَةً مِنْ رَفِيقَاتِهَا :

دَائِبَةُ الْحَرَكَةِ ، مَوْفُورَةُ النَّشَاطِ ، بَيْنَ رَائِحَةِ وَغَادِيَةِ .

وَمَا إِنَّ أَبْصَرَتْ إِحْدَى شَقِيقَاتِهَا وَهِيَ تُدَانِيهَا ، حَتَّى ضَرَبَتْ رَأْسَهَا

بِقَرْنَيْهَا — وَهَذِهِ لَعْنَةُ الْكَلَامِ عِنْدَ النَّمْلِ — ثُمَّ تَبَادَلَتَا حَيَّةً مُقْتَضِبَةً ،

لَأَنَّ النَّمْلَ دَائِبُ الْعَمَلِ ، وَهُوَ مَشْغُولٌ أَبَدًا ، لَا يَرْضَى أَنْ يُضَيِّعَ وَقْتًا

فِي مَرْثَرَةٍ لَا طَائِلَ تَحْتَهَا .

## ٩ - في برقوقة

ثم أسرع « أم مازن » إلى غصن الشجرة . وزجّت قسماً بين أوراقها ،  
باحثة عن بقراتها ، فلم تجد - في هذه المرة - بُرغوفاً تحلبه . ولكنها  
عثرت على برقوقة كبيرة ، ذهبية اللون ، وكان بعض المصافير قد شققها .  
فقال « أم مازن » تحدث نفسها :

« ما أخرجني إلى هذا الطعام . فلأتذوقه لأسدّ جوعي ! »

ولم تكد تلعق عصيرها ، حتى قالت ، مبهجة بهذا الغذاء الفاخر الشهي :  
« ما ألدّه طعاماً ، وأشهاه غذاءً ! لقد اهديت إلى طعام آخر ، غير لبن  
البراغيث الصغيرة . » ثم لبثت « أم مازن » على البرقوقة الشبيهة زمناً طويلاً ،  
وانسبها حلاوتها كلّ شيء ، وظلّت تأكل منها في سرّ عجيب . وإنها لمقبلّة  
على امتصاصها ، إذ بالبرقوقة ترقص في الفضاء ، ثم ترجع يئمة ومسرة !  
وأحسّت « أم مازن » ذلك الخطر الداهم ، فتشبّثت بها مستعينة ،  
وأمسكتها بكلّ ما أوتيت من قوّة ، وهي لا تدري : ماذا حدث ؟

ثم اهترت البرقوقة هزةً أخرى ، فهوت إلى الأرض ، وأغوى على  
« أم مازن » وهي جاثمة في وسط الثمرة .

## ١٠ - في بيت « فاضل »

ولعلكم تُعيّون أن تعرفوا - أيها الأطفال الأعزاء - السرّ فيما حدث .  
وإني قاصّ عليكم حقيقة الأمر :

لقد جاء « فاضل » الصغير - وهو غلام في العاشرة من عمره تقريباً -  
وظلّ يهرّ شجرة البرقوق ، ليملا سلةً بذلك الثمر الشهي ، ليعدّ منها فطائر  
لذيذة . وكانت برقوقة « أم مازن » أول ما سقط من الشجرة .

وما زال « فاضل » يهرّ شجرة البرقوق ، ويضع في سلة ما يسقط منها ،  
حتى امتلأت ، فعاد بها إلى بيته .

أراكم تتساءلون عن مصير « أم مازن » ، لتعرفوا : ماذا أصابها ؟  
أكان نصيبها المهلك أم النجاة ؟

فاعلموا - أيها الأصدقاء الأعزاء - علمم الخير ، وألهمم الرشد  
واللّداد - أن « أم مازن » لم تمّت ، وإنما أغوى عليها ، من فوط الألم ،  
ولبثت وقتاً طويلاً ، لا تُبدي حراكاً . ولما استيقظت وجدت

نفسها . . . . يا للعجب ! أتعرفون : أين وجدت نفسها ؟

لقد دهشت « أم مازن » - كما تدهشون - حين رأت أنها في وسط  
قطيرة ، كبيرة ، مصنوعة من البرقوق .

وقفز « فاضل » الصغير فرحاً مسروراً بتلك الفطيرة البروقية الجميلة .  
 وقال لأُمّه : « ما أجد فطيرتك ، يا أُمّي العزيزة !  
 سأعطى « ليلي » الصغيرة نصف نصيبى منها ، لأنها مريضة ، وأنا أحب  
 أن أدخل السرور على قلبها . فهل يُفرّيتنى على ذلك ؟  
 إن القرن موقدة ، فلنضع فيها الفطيرة ، لننضجها النار الحامية بمذليل .  
 فارتجفت « أم مازن » ، وقالت تحدث نفسها : « آه ! لقد حان حيتى  
 بلاريب . ولو تهاونت قليلاً لقتلتى نار القرن الحامية . فلا تجوّن بنفسى ،  
 قبل أن أستهدف لهذا الخطر الداهم المميت !  
 والتفت « فاضل » إلى أُمّه بفتة . وقال لها :  
 « يا للعجب ! ألا تبصرين هذه النملة ، يا أُمّاه ؟ إنها تتنزّه على  
 فطيرتنا . فيالها من نملة جميلة الشكل ، ظرفه المتظفر . . . لا بد من  
 إخراجها ! »

فصاحت به « أم مازن » ، وقد خشيت عاقبة هذا العمل :  
 « حذار أن تفعل ذلك ، يا « فاضل » . اتركنى - ربك - أذهب  
 إلى حيث أشاء .  
 ولكن « فاضلاً » لم يفهم شيئاً مما تقول ، لأنه لا يعرف لغة النمل .

ونملة أمسك « أم مازن » ، وقبض عليها بإصبعه فخرجت ، وأنت من  
 فرط الألم ، وقالت له ضارعة متوسلة : « شدّ ما آلتنى قبضة  
 أصابعك ، أيها القاسى ! فدعنى ، وإلا اضطردت إلى قرصك .  
 ولم يفهم « فاضل » شيئاً من وعيدها ، ولكنّه وضعها في راحة يده  
 مترققاً . ثم نادته أُمّه ، فوضع « أم مازن » على المائدة ، وخف إلى أمه مسرعاً .

## ١١ - فصل من كتاب

ورأت « أم مازن » أمامها فرصة سانحة للهرب ، فنزلت مُسرعة من  
 المائدة ، واختبأت في صندوق التمامة ( الكُتامة ) ، بين فتات الخبز ،  
 وأخلط الطعام . وأصبحت - حينئذ - آمنة من الأخطار . وامتلأت  
 نفسها غبطة وسروراً ، حين رأت « فاضلاً » يعود للبحث عنها ، وفي يده  
 مصباح . وأبصرته وهو يُفتش عنها في أرجاء المطبخ كله ، على غير طائل .  
 وجاء « أبو فاضل » فسأل ولده : « ماذا تصنع ؟ »

فحدثه بقصة النملة والبروقية . فاتهز « أبو فاضل » تلك الفرصة السانحة ،  
 وظلّ يحدث ولده عن خصائص النمل ، ومزاياه ، ونشاطه النادر ،  
 وحيل المعجبة . فدهش « فاضل » ، وأعجب بما سمع ، وقال لأبيه :  
 « لعل هذا أعجب درس سمعته في حياتى ! »

ورأى الوالد أن ابنته لا يزال في حاجة إلى سماع المرید، فقال له :  
« ما دمت تطلب المرید ، فاذهب إلى هذا القمطر ، وأحضِر السَّفرَ  
المأثر من كتاب « نهاية الأرب » ، لأقرأ عليك بُدَّةً شائقةً مما كتبه  
مؤلفه عن النمل . »

فأسرع « فاضل » إلى القمطر ، وأحضَرَ السَّفرَ المأثر من  
« نهاية الأرب » . فقرأ عليه أبوه القطعة التي اختارها له ، من ذلك السَّفرِ  
النفيس . وإليك ما اختاره :

« . . . والنملُ من الحيوان المُتخال في طلب المعاش . يفرق لذلك ،  
فإذا وجدَ شيئاً أنذرَ الباقين ، فيأتينَ إليه ، ويأخذنَ منه . وكلُّ واحدٍ  
مُجتهدٌ في إصلاحِ شأنِ العائِمةِ ، غيرُ مُختلسٍ لشيءٍ من الرِّزْقِ دونَ صحبه .  
ومن تحبُّله في طلبِ الرِّزْقِ : أنه رُبما وضعَ يَتَهُ وبينَ ما يُخافُ عليه  
منهُ ما يَنتميه من الوصولِ إليه من ماءٍ أو شَرٍّ ، فيتسلقُ في الحائط ، ويَتشبى  
على جذعٍ من السقف ، حتى يُسَامِتَ ( يُقابل ويُوازِي ) ما حِفظَ منه ، ثم  
يُلقي نفسه عليه . وفي طبعه وعادته أن يَحْتَكِرَ ( يَجْمَع وَيَحْتَسِبُ ) — في زمن  
الصيف — لزمن الشتاء . وهو إذا خاف — على ما يَدخرُهُ من الحبوبِ —  
العَفَنَ ، والسُّوسَ ، أو التَّنَدِّيَ من مجاورةِ بطنِ الأرض : أخرجها إلى ظاهر

الأرض ، حتى تَبَسَّسَ ، ثم يُعيدُها . وإن خاف على الحَبِّ أن يَنْبُتَ من نَدَاوَرِ  
الأرض ، تَقَرَّ في موضعِ القَطِيرِ من وَسَطِ الحَبَّةِ ( وهو الموضع الذي يبتدئ  
منه النبات ) ، ويَقْلُقُ جميعَ الحَبِّ أنصافاً . فإن كان من حَبِّ الكزْبَرَةِ  
فلَقَهَ أرباعاً ، لأنَّ أنصافَ حَبِّ الكزْبَرَةِ تَنْبُتُ .

فالنملُ — من هذا الوجه — في غاية الحرَمِ ، فَسُبْحَانَ المُلَهِمِ ، لا إلهَ غيرُهُ .  
وليس شيءٌ — من الحيوان — يَقْوَى عَلَى حَمْلِ ما يكونُ ضِعْفَ وزْنِهِ  
مِراراً : غيرَ الثَّملَةِ . والثَّملُ يَشْمُ ما ليس له رِيحٌ ، مِمَّا لو وضعَهُ الإنسانُ عِنْدَ  
أَفْتِهِ ، لما وجدَ له رِيحاً .

ومن أسبابِ هلاكِ الثَّملَةِ ، نَبَاتُ الأَجْنَحَةِ لها . فإذا صار الثَّملُ كذلك ،  
صادته المصافير ، وأكلته .

وفي ذلك يقول أبو المتاهية :

« وإِذا استوتَ لِلنَّملِ أَجْنَحَةٌ حتى يَطِيرَ ، فقد دنا عَطْبُهُ »

...

ولما انتهى « أبو فاضل » من قراءة هذا الفصلِ المُعْجِبِ النَّفِيسِ ،  
امتلاتْ نفسُ « فاضلٍ » قَرَحاً بما أدرك من حقائق . وكان لهذا الدرس  
أبلغ الأثر في نفسه .



## ١٢ - في غُرْفَةِ الْمَائِدَةِ

ونمود إلى صاحبنا «أم مازن» التي كَيْتَتْ في مكانها مُخْبِتَةً ،  
لا تُبْدِي أَقْلَ حَرَائِكِ ، لِنَرَى : ماذا فعلت ؟

لقد جَهِدَها ما لَقِيتُ من إِرْهَاقٍ وإِعْثَاتٍ ، فاستسلمت للنوم العميق ،  
وغلَّتْ تَحْلُمُ بالبراعيثِ الشَّيْبَةِ مرَّةً ، وبفَطِيرَةِ الْبُرْقُوقِ مرَّةً أُخْرَى .  
ولَمَّا اسْتَيْقَظَتْ من سُبَاتِهَا ، رَأَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ قَدْ نَامُوا جَمِيعًا ، وسَادَ  
الصَّمْتُ وَالسَّكُونُ ، وانطَفَأَتِ الْأَنْوَاءُ ، فلم يبقَ منها إِلَّا بَصِيصُ  
ضَيْلٍ ، كان يَرْسِلُهُ الْقَمَرُ في زاوية من زوايا الْمَطْبِخِ .

فَشَجَمَتْ «أم مازن» وخرجت من مَخْبِئِهَا ، باحثة - في جميع  
الأرجاء - عن ثَقْبٍ تَنْفُذُ مِنْهُ إِلَى خَارِجِ الْبَيْتِ . وما زالت تَسِيرُ ،  
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى حَجَرَةِ الْمَائِدَةِ ، وهي حَجَرَةٌ فُصِيحَةٌ مُنْسَقَةٌ أَجَلَّ  
تَسْبِقُ . ثم وَقَفَتْ وَاجِمَةً قَلِقَةً ، لِأَنَّهَا سَمِعَتْ جَمَجَمَةً بِالْقُرْبِ مِنْهَا .  
وغلَّتْ تُنْصِتُ ، لِتَسْمَعَ مِمَّا سَمِعَتْهُ ، فَطَرَّقَ سَمْعُهَا صَوْتُ ضَيْلٍ .  
فَهَمَسَتْ «أم مازن» قَائِلَةً : « تَرَى : من الطارق ؟ »

فَسَمِعَتْ الصَّوْتَ وَاضِحًا : تِلْكَ ، تِلْكَ ؛ ثم ارتفع الصَّوْتُ صَاحًا في هذه  
المرَّة : رن ... رن ... رن ... ! إِيذَانَا بِأَنَّ السَّاعَةَ الثَّالِثَةَ الْآنَ .

فاشْتَدَّ رُعْبُ «أم مازن» ، وَهَرَبَتْ مُسْرَعَةً ، وهي لَا تَعْرِفُ : إِلَى  
أَيْنَ تَقْصِدُ ؟ وَلَا تَهْتَدِي إِلَى مَخْرَجٍ لَهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمَوْحِشِ الْمُخِيفِ ؛  
وكان الظلامُ حَالِكًا ، وَالسَّكُونُ يَسُودُ أَهْلَ الْبَيْتِ .

وَانْسَلَتْ «أم مازن» الصَّغِيرَةُ مِنْ تَحْتِ الْبَابِ ، باحثةً عَنْ مَفْذَرِ تَخْرُجُ  
مِنْهُ ، فَإِذَا بِهَا قَدْ عَادَتْ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ . وَرَجَعَتْ إِلَى الْمَطْبِخِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ .

## ١٣ - في الْمَطْبِخِ

وَلَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ قَرَارُهَا فِي الْمَطْبِخِ ، حَتَّى أَبْصَرَتْ دَابَّةً تَقْرِضُ تَحْتَ  
خِيَانٍ ، وهي جَادَّةٌ فِي عَمَلِهَا ، فَقَالَتْ «أم مازن» :

« مَا أَشْبَهَ هَذِهِ الدَّابَّةَ بِأَمِّ رَاشِدٍ وَأُمِّ أَذْرَاصٍ ! وَإِنْ كَانَتْ أَضْحَمَ مِنْهُمَا .  
عَلَى أَنَّ أَقْفَهَا الْمُحَدَّدَ يَمِائِلُ أَتَقِيهِمَا ، وَلَا يَفْتَرِقُ عَنْهَا شَيْءٌ . وَلَسْتُ أَشْكُ  
فِي أَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ لَيْسَتْ إِلَّا فَارَةً ، فَلَا أَضِيعُ الْفُرْصَةَ . وَلَا بُدَّ مِنْ سَوَالِهَا ،  
لَعَلَّهَا تَرْشِدُنِي إِلَى وَسِيلَةِ الْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ . »

ثُمَّ أَسْرَعَتْ «أم مازن» إِلَى الدَّابَّةِ السَّامِيَةِ . وَلَكِنَّا رَأَتْ عَيْنَيْنِ  
كَبِيرَتَيْنِ خَضِرَاوَيْنِ تَقْدَحَانِ نَارًا ، فَلَمْ تَدِرْ : أَيُّ عَيْنَيْنِ هَاتَانِ ؟

وَأَرْهَفَتْ سَمْعَهَا ، فَلَمْ تَسْمَعْ إِلَّا صَوْتَ الْفَارَةِ الصَّغِيرَةِ ، وهي تَقْرِضُ  
بِأَسْنَانِهَا . فَاسْتَأْنَفَتْ «أم مازن» سِيرَهَا ، وهي تَقُولُ فِي نَفْسِهَا :

« لقد كنتُ واهمةً - بلارِب - فيما حِثُّهُ . فقد خِيلَ إِلَيَّ أَنِّي أرى عَيْنَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ تَقْدَحَانِ نَارًا ، فلما أُنِمتُ النظرَ ، لم أَعثرُ لهما عَلَى أثرٍ . ولعل سببَ هذا الوهمِ عائدٌ إِلَى ضَعْفِ أعصابِي ، الَّتِي أَضْناها ما بذَلْتُهُ مِنَ الجهدِ ، وكابَدْتُهُ مِنَ العناءِ ، فِي اليَوْمِ السَّابِقِ . »

ثم تَقَدَّمتُ إِلَى الفأرةِ ، قائلَةً : « سَعِدَ كَيْلُكَ ، يَا سَيِّدِي الفأرةُ ! » فقالتْ لَهَا الفأرةُ مُسْتَعْجِلَةً : « سَعِدْتَ وَسَلِمْتَ ، يَا عَزِيزَتِي ... آه ...

إِنَّكَ نَمَلَةٌ صَغِيرَةٌ .. فَأَيُّ حَادِثٍ أَتَى بِكَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ ، الْأَهْلِ بِسَاكِنِهِ ؟ لقد غَرَّرتُ بِنَفْسِكَ (عَرَضْتُهَا لِلْهَلَاكِ) . فَإِنَّكَ مُسْتَهْدِفَةٌ لِلْأَخْطَارِ ، إِذَا أَصْرَرْتَ عَلَى الْبَقَاءِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَمَا أَيْسَرَ عَلَيَّ أَيِّ كَانَ أَنْ يَسْحَقَكَ بِقَدَمِهِ ، عَنْ قَصْدٍ ، أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ . فَارْجِعِي إِلَى وَادِيكِ ، إِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ . فَمَا أَظُنُّكَ قَدِمْتَ إِلَى هُنَا - أَيُّهَا الشَّرْهَةُ الصَّغِيرَةُ - إِلَّا رَغْبَةً فِي أَنْ تَأْكُلِي مِنَ السُّكَّرِ ، وَالْأَلْوَانِ الْحَلَوِيِّ ، وَالْفَطَائِرِ اللَّذِيذَةِ ... إِنْ جِدُّ عَارِفَةٍ بِمَا تُؤْثِرُهُ مِنْ لَذَائِذِ الْأَطْعِمَةِ ! »

فقلتُ : « أُمُّ مَازَنْ » : « كَلَّا ، يَا سَيِّدِي الفأرةُ ، مَا جِئْتُ هُنَا مُنْخَارَةً ، بَلْ سَأَتُنِي الْمَقَادِيرُ رُغْمَةً إِلَى هَذَا السَّجْنِ . وَقَدْ بذَلْتُ جُهْدِي ، مُتَمَسِّةٌ مِنْفَذًا لِلخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ ، فَلَمْ أُوفِّقْ فِي سَعْيِي إِلَى الْآنِ .

ولكن خَبَرْنِي - مُتَفَضِّلَةً - بِكَيْفِيَّتِكَ ، لَا كَرَمِكَ بِهَا إِذَا نَادَيْتُكَ . » فقالتْ لَهَا الفأرةُ : « كُنْتِي - أَيُّهَا الْعَزِيزَةُ - هِيَ أُمُّ دِرْصِ . » ولم تَكْذِبْ « أُمُّ دِرْصِ » تِمُّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ ، حَتَّى سَمِعْتُ حَرَكَةَ تَنَبُّثٍ مِنْ رُكْنٍ مُظْلَمٍ . فَرَفِضْتُ « أُمُّ دِرْصِ » أَطْرَافَ أَفْهَاهَا ، وَأَذْنَيْهَا ، مُرْتَاعَةً ؛ ثُمَّ مَرَرْتُ عَنْهَا حِينَ تَلَفَّتْ فَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا فِي الْحُجْرَةِ فقالتْ سَاخِرَةً :

« مَا أَشَدَّ عِبَائِي وَجُنْبِي إِفْنِي دَائِمَةً  
الْخَوْفُ مِنَ الْقَطْطِ ، لِأَنَّهُ أَمَى طَلَالًا حَذَرْنَا  
مِنْهُ ، وَأَوْهَمْنَا أَنْ خَطَرَهُ لَا يُدْفَعُ ، وَأَنْ  
بِأَسَهِ مَرْهُوبٌ . »



وقد طَلَّالًا حَدَّثْنَا أَحَادِيثَ مُفَرَّغَةً عَنِ الْقَطْطِ ، وَمَصَائِدِ الْفَأْرِ . وَقَدْ حَضَرْتُ عَلَيْنَا الدُّخُولَ فِي هَذَا الْمَطْبَخِ الْحَافِلِ بِأَشْعَى الْأَطْعِمَةِ ... وَلَكِنِّي لَنْ أَعْبَأَ بِنَصِيحَتِهَا - فِي هَذِهِ الدَّرَةِ - فَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّهَا تُعَالِي فِي الْخَوْفِ وَالْقَزَعِ ، مِمَّا لَا يُخِيفُ وَلَا يُفْزِعُ ...

أَلَا تَرَيْنَ هَذَا الْبَابَ أَيُّهَا النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ ؟ إِنْ خَلَقَهُ مِنْ نَفَائِسِ الْأَطْعِمَةِ ، وَلِذَائِذِ الْمَآكِلِ الرُّشَقِيَّاتِ ، مَا يُبْنِيهِ الْأَجْبَانُ جُبْنَهُ ، وَيَجْعَلُهُ شَجَاعًا جَرِيئًا يَسْتَهِنُ بِالْأَخْطَارِ ، وَلَا يُبَالِي بِالْمَوَاقِبِ ...

إن فيه كثيراً من ألوان الخبز، والأرز، والحبّين اللذين، وما إلى ذلك من أصناف الطعام ...

ألا تسعين هذه الرائحة الطيبة؟ لقد طالما نمتُ باحتمام هذا الباب، وأكلتُ ما شئتُ من هذه اللذائذ ... ثم عدتُ إلى أهلي راضيةً مسرورةً ... فإن أسرتي تقطنُ مستودع القمح القريب من هذه الحجرة حيث تُخفي زادنا من الجوز، و ...

وهنا وقفتُ «أم درص» عن الكلام، فقد سمعتِ الحركة تنبثُ من الركن المظلم، مرة أخرى. والتفتتُ «أم مازن» فرأتِ العينين البراقين الكبيرتين تقدحان بالشرر.

وكانتِ القطعة — في هذه المرة — قريبةً منها، فارتجفتُ «أم مازن». ولم تكن قد رأتِ القطع قبل هذه المرة، ولم تسعين — من خلال الظلام — إلا عينيه. فقالت مذعورة:

«الزّمي الصمت، يا «أم درص». فإني أتوجّسُ شرّاً، وقد خيلَ إليّ أنني أرى شيئاً مخبئاً في بعض الزوايا.

١٤ - غُرور الفأرة

فقالت «أم درص» هازئة:

«هاهاها! يا لك من رغيدة خائرة المزم! على أن مجال المذر أملك فسيح، لأنك حشرة ضعيفة الحول والطول ... أما أنا فلستُ جديرة أن أخشى كائناً كان ... إني لا أبالي بالناس، ولا بصايد الفأر، ولا بالقطاط، لأنني عاقلة رشيدة، وإن كانت أُمي تأتي إلا أن تماكني كما تُعاملُ طفلة صغيرة. ولها المذر فإن حبّ الأمهات كثيراً ما يدفعهنّ إلى تخويف بناتهنّ من كل شيء ... إني جريئة القلب، يا «أم مازن»، وقد كنتُ أفرض الأرض أمس ... في هذا المكان — في وضح النهار، أمام ربة الدار، وعلى مرأى منها ... وقد شعرتُ — أول الأمر — بشيء من الخوف، ثم عاودتني الشجاعة ... ولعلك لا تعرفين: ماذا فعلتُ؟»

فقالت لها «أم مازن»: «كلا، لا أعرف شيئاً!»

فقالت «أم درص»: «إنها لم تكذب فتفتح هذه الفجوة (الزّكية) التي أمامنا، حتى قفزتُ في وجهها. فاشتدَّ خوفها ولاذت بالقرار، وصاحت تطلبُ النجدة. وسألجاً إلى هذه الطريقة متى رأيتُ قطاً!»

## ١٥ - نشيد الفأرة

وما زالت «أم دريس» سابحةً في أحلامها، متظاهرةً بالجرأة،  
مُسَهِّنةً بالأخطار، غيرَ مقدِّرةٍ للعواقبِ حساباً. ثم ختمتْ غُرورها،  
متغنيةً بالأنشودةِ التالية :

حدّثتُ أمي، وما أءَ جَبَ ما قالتهُ أمي !  
« حدّثتنا بِحدِيثٍ كان وهماً: أيّ وهم ! »

...

حدّثتنا أنّ بأسَ الـ قِطْ: مرهوبٌ، مُخيفٌ  
وهو - في رأيي - جبانٌ خائرُ العزم، ضَعِيفٌ

...

إنْ رَأَى - مِنِّي - مَ بَاقاً، تَوَانَى عن كَحاتِهِ  
أَيْنَ بَأْسُ القِطْ من بَأْسِي؟ وَسَبَقَ مِن سِيفِهِ !

...

أبلغوا القِطَّةَ عَنِّي : « أتني أشجعُ منها  
لستُ أخشاهُ، ولا أذْ زَعُ إنْ حدّثتُ عنها ! »

...

ليتها تَبْدُو أُمَامِي لِيَرَى عَزَمِي، وبَأْسِي  
عَلَيَّ أَلَيَّ عَلَيْهَا - إنْ أُنْتُ - أبلغَ دُرسِ

...

عَلِمَا تُؤْمِنُ أن الـ فَاَر لا تَرْضَى القِرَارَا  
وَتَرَى أَنِّي عَنِيدٌ - في صِرَاعِي - لا أَبَارِي

...

وَتَرَى مِنَّا - إِنْما تُزْنا - أَشِدَّاءَ كِرَامَا  
لا يُيَالُون - إِنْما ما غَضِبُوا - التَّوَتَ الزُّوَامَا !

## ٦١ - نشيد القِطْ

وما كادت «أم دريس» تُنمِّ آخرَ كلمةٍ في هذا النشيد، حتَّى امتلأَ قلبُها  
دُغْرًا. فوَقَّعتِ اليَسْكِينَةَ عنِ الكلامِ، وَقَفَّتْ شمرُها من قُرْطِ الرُّعْبِ،  
وَجَحَّظَتْ عيناها، وصاحتْ، وهي تَرْتَجِفُ :

« رَياهُ ! ماذا أَرى ؟ »

أدركني يا أُمَامَه ! إِنَّهُ القِطْ . فاحيلتي في دَفْعِهِ ؟ »

وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا الْقِطُّ يَطَّارُهَا ، وَيَنْشِدُ تَائِهًا مَرْهُوًّا :

« أَيُّهَا الْمَرْوَرُ : أَهْلًا بِكَ إِذْ جِئْتَ - وَسَهْلًا  
قَدْ تَمَنَيْتَ لِقَائِي ضَلَّةً مِنْكَ ، وَبَهْلًا

...

أَنْتَ لِي أَفْخَرُ زَادٍ أَنْتَ لِي أَشْغَى طَعَامٍ  
فَتَأْمَبُ لِلْقَائِي وَاغْنَمِ التَّوْتَ الزُّوَامِ . »

وظَلَّتْ « أُمُّ دَرَسٍ » تَجْرِي فِي أَرْجَاءِ الْمَطْلِخِ ، عَلَى غَيْرِ هُدًى ،  
وَالْقِطُّ يَطَّارُهَا وَيَسُدُّ عَلَيْهَا مَنَاغِذَ الْمَرْبِ ؛ وَهِيَ تَتَوَتُّ ، طَالِبَةً  
النَّجْدَةَ ، فَلَا يُبَيِّثُهَا أَحَدٌ .

وَكَانَتْ « أُمُّ دَرَسٍ » خَفِيفَةَ الْحَرَكَةِ ، سَرِيعَةَ التَّفَقُّزِ ، فَاسْرَعَتْ إِلَى  
جُحْرِهَا ، حَتَّى إِذَا دَانَتْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى بُلُوغِهِ إِلَّا قَشْرَتَانِ ، أَدْرَكَ  
« أَبُو خَدَّاشٍ » غَرَضَهَا ، فَوَسَّبَ عَلَيْهَا وَبُئَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هِيَ بَيْنَ مَخَالِبِهِ .

وَهَكَذَا حَالَ « دُونَ مَاتَرِيدٍ » وَبَدَّلَ أَمَلَهَا يَأْسًا ، وَأَصْبَحَتْ  
بَيْنَ بَرَاثِنِ التَّوْتِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ أَقْرَبَ مَا تَكُونُ إِلَى النِّجَاقِ ؛  
فَلَمْ تَرَبِّدًا مِنْ مُعَاوَدَةِ النِّصَالِ .

١٧ - عَاقِبَةُ النُّرُورِ

فَانْسَلَّتْ مِنْ بَيْنِ أَرْجُلِ عَدُوِّهَا اللَّدُودِ ، وَاسْرَعَتْ تَجْرِي بِكُلِّ سُرْعَتِهَا ،



حَتَّى وَجَدَتْ مِكْنَسَةً فِي زَاوِيَةِ

الْمَطْلِخِ ، فَاجْتَبَتْ خَلْفَهَا ، وَهِيَ

تَمَلُّ نَفْسَهَا بِكَاذِبَاتِ الْأَمَانِيِّ ،

وَتُظَنُّ أَنَّ « أَبَا خَدَّاشٍ » لَنْ

يَرَاهَا . وَتَقُولُ لِنَفْسِهَا نَادِمَةً مَحْزُونَةً :

« لَيْتَنِي أَصْنَعْتُ لِي نُصْحَكِ يَا أُمَّاهُ ! إِذَنْ لَنَجُوتُ مِنَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ ،  
وَلَكِنْ غُرُورِي أَوْرَدَنِي مَوَارِدَ الْهَلَكَ . . . وَلَتُنْ نَجُوتُ فِي هَذِهِ الْقَرِيَّةِ ،  
لَمْ أَخَالِفْ لَكَ قَوْلًا بَعْدَ الْيَوْمِ ! »

وَلَكِنْ أَمَالَ « أُمُّ دَرَسٍ » تَبَدَّدَتْ ، وَذَهَبَتْ أَدْرَاجَ الرِّيحِ ،  
فَقَدْ رُبَّصَ « أَبُو خَدَّاشٍ » أَمَامَ الْمِكْنَسَةِ ، وَظَلَّ يَتَرَقَّبُ فَرِسَتَهُ ،  
بِفَارِغِ الصَّبْرِ ، وَهُوَ يَتَحَفَّزُ لِلْقَتْلِ بِهَا ، وَالْإِاقْضَاضِ عَلَيْهَا ، وَقَدْ  
سَالَ لَمَابُهُ شَوْقًا إِلَى إِزْدَادِهَا . وَظَلَّ يُرِيءُ لِسَانَهُ عَلَى شَفَتَيْهِ مَرَارًا ،

وهو فرحانٌ بهذا القَطُورِ الشَّيْءِ  
الوشيكِ !



وما كادت «أم درص» تُطْلُ  
برأسها الصغيرِ ، حتى اقتَضَى عليها  
«أبو خدّاش» ، وأمسكَ بها بين مِخْلَيْهِ ، فقالت له ضارعةٌ :

« اصفح عني - في هذه المَرّة - يا أبا خدّاش ! وإني مُماهدتُكَ على  
تركِ الدارِ . . اغفرْ لي - بربِّكَ - هذه الزلّة ! فإني أعودُ إلى اقتراضِها  
بعد اليوم . »

ولكن «أبا خدّاش» لم يُصغِرْ إلى شيء مما تقولُ ، وأمسكَ بها  
بين يَرائِهِ .

ولم تُطْلِقْ «أم مازن» أن ترى مصرعَ صديقِها التابعة السَّكينة :  
«أم درص» ، التي عوقبتْ على غرورها وبلاها أشنعَ عقابٍ ،  
فاختَبأتْ «أم مازن» حتى غابَ «أبو خدّاش» ، ومعه فريستُه ، التي خالفتْ  
نُصحَ أمّها فلقِيتْ حَنَفَها جزاءً وفاءً !

١٨ - بين «فاصل» و«كوثر»

ولما أَصْبَحَتْ «أم مازن» ، وَقَدَ - إلى المَطْبِخِ - أَوَّلُ شُعاعٍ من  
أشعةِ الشمسِ الوضاءِ ، أقبلتْ «أم مازن» على المائدةِ ، لتَلْتِمَّ سَكْرًا  
مسخوقًا ، وَظَلَّتْ تَأْكُلُهُ في شَرَوِّ عَجِيبٍ ، شأنُ بناتِ جنسِها جميعًا .  
وإنها لتَلْتِمُّ السَّكْرَ التهامًا ، إذ سَمِعَتْ صوتَ خُطواتٍ ثَقِيلَةٍ ، تَدْبُ في  
التمشي ، ورأت «كوثر» قادمةً على المَطْبِخِ .

فقالَتْ «أم مازن» في نَفْسِها :

« لقد حانَ وقتُ الهَرَبِ ، حتى لا تَراَنِي هذه الثَّغاةُ ، فَتُهْلِكَنِي . »

ورأت «أم مازن» أمامها ذُبَابَةً تطيرُ ، صَوْبَ نافذةٍ مفتوحةٍ ، ثم تخرجُ  
منها . فاعتزمتْ أَنْ تخرجَ من ذلك المَنفذِ ، وأسْرعتْ تَمْدُو (تَجْرِي) إلى  
النافذةِ المفتوحةِ ، وهي حريصةٌ على أَنْ تَسْتَخْفِيَ عن عيني «كوثر» التي  
كانت مشغولةً بإعدادِ القَطُورِ . . . وما زالت «أم مازن» تَحْدُ في سيرِها  
- بعزمٍ ثَقْلَةٍ - حتى وصلتْ إلى النافذةِ .

ولكنها لم تَكْذُ تَبْلُغْ حَافَتِها ، حتى هالَها ما رَأَتْ ، فقد أبصرتْ  
هاويةً بعيدةَ النُورِ (شَدِيدَةَ العُمُقِ) ، بين النافذةِ والأرضِ .  
فحارتْ في أمرِها ، ولم تَدْرِ : كيف تصنَعُ ؟

وتراجعت - من فورها - خائفة مذعورة ، حتى لا تردى  
(لا تسقط) في تلك الهاوية السحيقة .

وإنما تهم بالعدوة - من حيث أنت - إذ طرق سمعها صوت «فاضل»  
وهو ينادي أخته «كوثر» :

« هل أعددتِ فطوري ، أيتها الشقيقة العزيزة ؟ »

فقال له «كوثر» بأسية : « لقد أوشكتُ أن أنتهي منه . »

فصاح «فاضل» مسروراً : « انظري إلى هذه النملة الصغيرة ، اتى سير  
حائرة على حافة النافذة . لقد بحث عنها أمس ، فلم أفر بطائل من بحثي ،  
وها ، قد عثرتُ عليها الآن ! »

فقال له «كوثر» :

« دعها - يا عزيزي - أمنة وادعة ، ولا تُزعجها . »

فقال لها «فاضل» : « كلا ، لن أصيبها بسوء . ولكني حريص على  
درسي دقائق تركيبها العجيب . »

١٩ - في الهواء الطلق

ولكن «أم مازن» كانت مُؤثِّر (تُفَضِّل) أن تموت على أن يقبض  
عليها أحد . فأسرعت إلى حافة النافذة . واعتزمت أن تهبط إلى الأرض ،

كبدها ذلك ما كبدها من عناء ومخاطرة ! فتقدمت إلى الحائط في صبر  
وثبات ، وأنشبت أرجلها متشبثة به . ولكنها لم تكذ تخطو خطوات ثلثاً ،  
حتى انقلب رأسها إلى أسفل ، واختل توازنها ، فوَّت من ارتفاع طابق  
كايل . وقد كان هذا الارتفاع كافياً لقتل من هو أقوى من  
النملة ؛ ولكنها نجت من الخطر - بحسن حظها - فقد اعترضتها  
ورقة كرم ، فحمتها من أن تُصاب بسوء .

وانطلقت «أم مازن» تجد في طريقها ، إلى بيتها ، وقد أصبحت آمنة  
في الهواء الطلق . وما زالت جادة في السير حتى اقتربت من البيت .

٢٠ - في وادي النيل

ولم تكذ تدنو من وادي النيل ، حتى رأت ما أدهشها وهالها ،  
وحزنها وأقلق بالها .

ترى : ماذا حدث ؟ وأي خطب ألم بعشيرتها ، وحل بقومها ؟

لقد أبصرت طوائف النيل خارجة أسراباً أسراباً ، صاربة في فيجاج  
الأرض (طريقها) ، على غير هدى .

فقال «أم مازن» تحدثت نفسها مدهوشة :

« هذا أعجب ما رأيت في حياتي وما أدري : لم خرجتْ عشيرتي كلها من دُورِها ! أتراهنَّ قد خرجنَّ ليقابلنَّي ؟ ما أظنُّ ذلك ! »  
ثم أبصرتْ « أم مازن » صاحبتهما « بنت الشيصان » قادمةً ، وقد بدتْ عليها أماراتُ الإرتباكِ والحيرةِ . وكأنما هي هاربةٌ ، وقد حملتْ طفلاً صغيراً . فصاحتْ بها « أم مازن » قائلةً :

« سَعدَ يومُكِ ، يا « بنت الشيصان » . ها ناذي رَبيَّتُكِ : « أم مازن » .  
ألا تعرفينَّي ؟ ما بالكِ خائفةٌ وجِلَّةٌ ؟ »

فقالَتْ لها « بنتُ الشيصان » : « آه لنا ، يا حبيبتي ! وواهٍ من تلكِ النكبةِ التي أَلَمَّتْ بنا ، أيتها العززة ! »

فصاحتْ « أم مازن » مُرتاعةً : « أي نكبةٍ تعنينَّ ؟ »  
فأجابتها « بنتُ الشيصان » :

« لقد هاجمنا جيوشُ كَشيْفَةٍ من النِّمالِ الشَّقرِ الخبيثةِ ، وشتَّتْ علينا غارةً شمواءَ . ولملِكِ تعرفينَّ أن أولئكِ الشَّقراواتِ طالما خَطَفْنَ بناتِنا ، وقَبَعْنَنا في حبيباتِنا .

ولقد كاثرتْنا بِمَدَدِهِنَّ ، وملأنِ السَّهلَ ، وملَكْنَ علينا فِجاجَ الأرضِ كلها . آه ! ألا تسمعينَّ ؟ وداعاً ، يا « أم مازن » . فإني هاربةٌ ، حتى لا أقعَ فريسةً لأولئكِ الخبيثاتِ . »

٢١ - غزوة النمل



ولقد صدقتْ « بنتُ الشيصان » فيما قالته ، فإن جيوشَ الشَّقراواتِ — من نِمالِ الأعداءِ — كانتْ تتقدَّمُ إلى وادي النَّمْلِ ، زاحفةً تحاولُ أن تكتسَحَ الوادي . وقد رُبَّتْ خُطَّةُ الهُجُومِ والغزوِ ، وسارتْ متقدِّمةً ،



في صفوف مُرَاثَةِ . وكان القادة في مقدمة الجيوش ، مُستبشرين في الحَرْبِ ،  
وقد رمفوا قُرُونَهُمْ مُهَيَّيْن (صانحين) بجنودهم : أَنْ تَقْدَمُوا إِلَى الْأَمَامِ ،  
إِلَى الْأَمَامِ دَائِبًا !

وكانت الشقراوات الكبيرات آية من آياتِ الْقِسْوَةِ ، فلم تَرْحَمْ صَغِيرًا ،  
ولم تُوقَرْ كَبِيرًا . واضطربت أسرابُ النِّمَالِ السُّودِ الصَّغِيرَةِ ، وتفرقت  
حُرَّاسُهَا أَشْتَاتًا ، يُفَوِّتُونَ وَيَسْتَجِدُونَ . وخرجت جماهيرُ النملِ الْأَسْوَدِ ،  
لِصَدَّ غَارَةِ الْأَعْدَاءِ ، وقد آلَيْنَ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ أَنْ يَنْتَمَنَ وَادِيَهُنَّ ، وَيَحْبِينَ  
وَطَنَهُنَّ ، وَيَنْدَنَ عَنْ ذُرَاهِئِهِنَّ (نَسْلِهِنَّ) ، بِإِذْلَالِ أَرْوَاحِهِنَّ رَخِيصَةً  
فِي سَبِيلِ حِمَايَةِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ !

واندفعن - في شجاعة وإقدام لا مثيلَ لهما - يحاربينَ الْعَدُوَّ ، وَيُجَلِّينَ  
السُّنَيَّاتِ ، وقد يَذَلْنَ كُلَّ مَا وَسَّعَتْهُ جُهُودُهُنَّ ، وَأَبْلَيْنَ فِي الْحَرْبِ  
أَحْسَنَ بَلَاءِ .

ولكنَّ الشقراوات الكبيرات ظليلن يتقدمنَ إِلَى الْأَمَامِ ، مُسْتَهِنَاتِ  
بِكُلِّ مَا يَتَرَضَّنَ لَهُ مِنْ أخطار ، وقد أصررنَ على اقتحامِ صُفُوفِ الْعَدُوِّ  
وإِذْلَالِهِ ، كَلَفْنَهُنَّ ذَلِكَ مَا كَلَفْنَهُنَّ ، مِنْ جِهَادٍ وَفِدَاءِ .

وصاح صائحُهُنَّ - مِنْ الْقَادَةِ - وَهُنَّ يَسْلُقْنَ قِمَّةَ التَّلَّةِ ، وَيَتَلَيَّنَ  
ذِرْوَةَ الرَّبْوَةِ :

« نَظْمُنْ صُفُوفَكُنْ - يَا حَفْدَةَ الشَّيْبَانِ » - واستلھن مضاء عزمِ  
أَسْلَافِكُنَّ . وَلَا تَنْسِينَ نصيحةَ جَدَّنَا الْأَكْبَرِ : « الشَّيْبَانِ » الْعَظِيمِ ، قَدْ  
أَصْبَحَ النَّصْرُ مُنَاقِرِيًا ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْكُنْ إِلَّا خُطُواتُ يَسِيرَةِ تَهَرَّنَ - فِي  
إِثْرِهَا - الْعَدُوِّ ؛ وَتَتَصَرَّنَ فِي هَذِهِ التَّمَرَكَةِ الْحَاسِيَةِ !

فسارت الشقراوات ، زاحفاتٍ عَلَى أَعْدَائِهِنَّ ، مُرَدَّدَاتِ نَشِيدِ الْحَرْبِ  
الَّذِي حَفِظْنَهُ مِنْ أَسْلَافِهِنَّ ، عَنْ جَدَّهِنَّ الْأَوَّلِ : « الشَّيْبَانِ » الْأَكْبَرِ .  
٢٢ - نَشِيدُ الشَّيْبَانِ

وكانت جماعاتُ النِّمَالِ الشَّغْرِ ، جَادَّةً فِي طَرَفِهَا إِلَى وَادِي الْأَعْدَاءِ ،  
وَهُنَّ يُنْشِدْنَ النَّشِيدَ التَّالِيَّ مُحَمَّسَاتِ :

« يَا بَنَاتِ الشَّيْبَانِ : قَدْ آتَى يَوْمُ الطَّامَاتِ  
فَتَوَاقَدْنَ الْوَفَا وَتَجَمَّعْنَ صُفُوفًا  
وَاعْتَلَيْنَ الْهَضَبَاتِ وَاتَّحَنْنَ الْعَقَبَاتِ  
مِمَّ قَرَّقَنَّ الْأَعَادِي بَدَدًا فِي كُلِّ وَادِي !

يَابَنَاتِ الشَّيْصَانِ : قَدْ أَتَى يَوْمُ الطَّعَانِ  
فَلْيَكُنْ يَوْمَ فَخَارٍ وَابْتِهَاجٍ وَاتِّصَارٍ  
لَا تَوَاتَيْنِ ، فَإِنَّا — إِن تَوَاتَيْنِ — مِثْنَا  
فَلْتُدَكِّكُنِ الْجِيَالَا وَلْتَذَلِّلَنَّ الْمُحَالَا !

• • •

يَا بَنَاتِ الشَّيْصَانِ : قَدْ أَتَى يَوْمُ الطَّعَانِ  
فَسَنَمَنَّ الْوَهَادَا وَتَسَمِينَ الرُّفَادَا  
وَتَسَمِينَ لِحْجِدٍ وَتَذَرَعْنَ بِحِجْدٍ  
وَتَقَعَنَّ السُّهُولَا وَتَدَافِقَنَّ سِيُولَا !

• • •

يَابَنَاتِ الشَّيْصَانِ : قَدْ أَتَى يَوْمُ الطَّعَانِ  
جَدُّكُنَّ الشَّيْصَانُ مَجْدُهُ لَيْسَ يَهَانُ :  
إِنَّا نَغْشَى لِيَوَاهُ فَلْتُمُوتَنَّ فِدَاهُ  
وَلْتُمُوتَنَّ كَرَامَا ذَلَّ مَنْ يَغْشَى الْجِامَا !

### ٢٣ - انتصارُ الشقراواتِ

وُسْرَعَانُ مَا اتَّحَمَتِ الشَّقْرَاوَاتُ وَادَى الْأَعْدَاءُ ، بَاحْتَاتٍ عَنْ أَطْفَالِهِنَّ  
الصَّغَارِ ، وَقَدْ تَمَّ لَهُنَّ الظَّفَرُ . وَعُذْنُ ، وَفِي فَمٍ كُلِّ شَقْرَاءٍ مِنْهُنَّ دُودَةٌ ،  
أَوْ طِفْلٌ ، مِنْ ذَرَارِي الثَّمَالِ السُّودَاءِ ، وَهِنَّ أَعَزُّ مَا لِلدَّيْهِنِ فِي الْحَيَاةِ .  
وَهَكَذَا انْتَهَتْ تِلْكَ الْحَرْبُ الطَّاحِنَةُ بِأَنْدِحَارِ السُّودَاوَاتِ ، وَاتِّصَارِ  
الشَّقْرَاوَاتِ ، وَامْتَلَأَتْ سَاحَةُ التِّتَالِ بِالْقَتْلِ وَالْبَرْخَى ، مِنَ السُّودَاوَاتِ ،  
وَتَكَدَّسَتْ أَشْلَاؤُهُنَّ أَكْدَاسًا .

أَلَا قَبِحتِ الْحَرْبُ ! وَقَبِحَ كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ عَلَى إِتَارَتِهَا وَإِهْلَابِ نَارِهَا ! ...

### ٢٤ - مجمعُ النملِ الأسودِ

وَعَادَتْ جُبُوشُ الشَّقْرَاوَاتِ فَرِحَاتٍ بِاتِّصَارِ هُنَّ ، وَقَدْ حَمَلْنَ أُسْلَابَ  
أَعْدَائِهِنَّ ، وَرَجَعْنَ بِنَتَائِهِنَّ الثَّمِينَةِ . وَلَوْ رَأَيْتُمُوهُنَّ — أَيُّهَا الْأَطْفَالُ الْأَعْزَاءُ —  
لَرَأَيْتُمْ آلَافًا مِنَ الْقَشُورِ الْبَيْضَاءِ ، سَائِرَةً خِلَالَ الْحَشَائِشِ الْخَضِرَاءِ .  
وَمَا أَظُنُّكُمْ تَجْهَلُونَ تِلْكَ الْقَشُورَ الْبَيْضَ ، فَهِيَ ذَرَارِيُّ الثَّمَالِ السُّودِ  
الَّتِي حَمَلَتْهَا الشَّقْرَاوَاتُ إِلَى وَادِيهِنَّ الْبَعِيدِ .  
وَنَسُودُ إِلَى « أُمِّ مَازِنِ » لِتَرَى مَا فَعَلَتْهُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَرْكَكِ الطَّاحِنَةِ .

والحق أقول - أيها القراء الأعزاء - إن هذه النملة الباسلة قد استبسلت في الدفاع، واستماتت في سبيل الذود عن الوطن والمشيخة، وقاتلت في الصف الأول، حتى خرت صرمة في الميدان، ورددت بين الأشلاء، وهي إلى الموت أقرب منها إلى الحياة.

وبعد قليل جاءت السوداءات باحثات عن الجرحى، واستيقظت «أم مازن» من رقدتها، فجمجت تقول بصوت ضيف: «ترى: أين أنا؟» ورآها صواحبا، وهي تحرك إحدى أرجلها، فتقدمت إحداهن إليها، وصاحت قائلة:

«آه! هاهي «أم مازن»! يا عزيزاتي! فهلمي أيتها الرفيقة الباسلة! قهضت «أم مازن» من رقدتها. وبذلت جهدا شديدا، حتى استطاعت أن تقف على أقدامها، وظلت تحرك أرجلها لتتفقدتها. فلما اطمأنت بوجودها، حيدت الله على السلامة. وقالت: «شكرا لله على أنني لم أصب بسوء، ولم تكسر لي قدم واحدة، في هذه الحرب الطاحنة». ثم سارت مستتدة إلى إحدى رفيقاتها، وما زالت تتوكل عليها حتى وصلت إلى قاعة الاجتماع، فرأت جمهرة من الشمال تتحدث وتناقش مناقشات حادة.

وسمعت إحداهن تقول:

«هل صنعتين حارسات عند السياج، قبل كل شيء؟» فأجابتها نملة أخرى: «لم يفتنا شيء من ذلك - بل ريب - فقد وقفتا جماعة من الحارسات في الجهة الأخرى. وإلى جده واقعة من أن هذه البأساء المفجعة لن تكرر بعد اليوم.»

فقال نملة ثالثة: «لقد جاءت «بنت الشيبان». سعد مساوذك، أيتها الأخت العزيزة. خبرتنا ماذا تحملين؟ إلى أراكِ تحملين طفلا! يا لله! لقد حسبتك في عداد الهلكى، أيتها الرفيقة الكريمة! فقلت «بنت الشيبان» بعد أن وضعت طفلها أمامهن:

«أسمد الله مساءكن يا عزيزاتي! ألا ترين أنني لم أضيع وقتي عبثا؟ فقد انسلت في أثناء المعركة، وخباهن في ذلك الثقب الأمين، الذي في جذع شجرة البرقوق.»

فقلن لها: «أى شيء خبايت في جذع البرقوق، يا بنت الشيبان؟» فقالت مزهوة فخوراً: «لقد خبايت الأطفال الأعزاء! فقد انسلت إلى وادينا خسن مرآت، وحملت في كل مرة طفلا، وها هو ذا أحد الأطفال! قتلاين معي، لنخضر الباقيين.»

فارتفعت أصواتُ الثناء والإعجاب بها من كلِّ صَوْبٍ ، وَقُلْنَ لَهَا :  
 « يَا لَكَ مِنْ مُرْضِعٍ نِيْلَةٍ ، يَا بِنْتَ الشَّيْبَانِ ! فَلَكَ مِنَّا أَطِيبُ الشُّكْرِ ،  
 وَأَجْلُ الْإِحْتِرَامِ . »

## ٢٥ — خُطْبَةُ « أُمِّ مَشْغُولٍ »

وَأَرَادَتْ « أُمُّ مَازِنٍ » أَنْ تَعْرِفَ عَدَدَ الْقَتْلِ ، فَأَقْرَحَتْ عَلَى صَدِيقَتِهَا  
 « أُمِّ نَوْبَةَ » أَنْ تَادِيَ الْأَسْمَاءَ .. وَلَمْ تَكْذُبْ فَعَمِلْ ، حَتَّى ظَهَرَ أَنَّ عَدَدَ الْقَتْلِ  
 قَدْ فَاقَ كُلَّ حُسْبَانٍ .

وَقَالَتْ « أُمُّ نَوْبَةَ » : « وَلَقَدْ هَلَكَ — فِي هَذِهِ التَّوَقُّعَةِ الْهَائِلَةِ —  
 كَثِيرٌ مِنَ الْقَوَادِرِ ، مِنْهُمْ : الْمَجْرُوفُ ، وَالذُّغُبُوبُ ، وَالذُّعَامَةُ ،  
 وَالْجَبَلُ ، وَالْجَبَلُ . وَهَلَكَتِ الشَّمْسُ ، وَهِيَ زَعِيمَةُ جَيْشِ الْأَعْدَاءِ ،  
 وَقَائِدَةُ جُوعِهِمْ . وَقُتِلَ جُمُوعٌ مِنْهُمْ مِنَ الدَّبَى : وَهِيَ تِلْكَ النَّمَلُ  
 الصَّغِيرَاتُ ، الْعَزِيزَاتُ عَلَيْنَا ، كَمَا هَلَكْتَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّماسِمِ ، وَهَمَّ إِخْوَتُنَا  
 مِنَ النَّمَلِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَسَاتِينِ . وَلَمْ يَكُنْ لَهَا يَدٌ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ  
 الطَّاحِنَةِ ، وَلَسْكَهَا ذَهَبُ فَرِيَسَةٍ بِلَا ثَمَنِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى  
 ظَهْرِهَا ، رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ . وَهِيَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَنَارَ لَنَا مِنَ الشَّقَرَاتِ  
 الْجَائِرَاتِ ، اللَّائِي بَيْنَ ، وَاعْتَدَيْنَ عَلَيْنَا أَشْنَعَ اِعْتِدَاءٍ . »

فَسَأَلَتْ اللَّهَ أَنْ يُجِيبَ دَعَاءَهَا ، وَيَتَقَمَّ لَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .  
 فَوَجَّهَتْ النَّمَلُ السُّودَاءَ ، وَحَزِنَتْ لِمَصَارِعِ أَخَوَاتِهَا .  
 وَصَاحَتْ « أُمُّ مَازِنٍ » مَتَأَلَةً :

« لَقَدْ فَتَكَ بِنَا النَّمْلُ الْأَشْقَرُ فَتَكَكَ ذَرِيْعًا ، وَفَجَعَنَا فِي أَعَزِّ صَوَاحِبِنَا ،  
 وَأَبْرَصِ صَدِيقَاتِنَا ، وَأَكْرَمِ أَهْلِينَا عَلَيْنَا . وَلَقَدْ أَمَارَهَا عَلَيْنَا غَارَةٌ شَعْوَاءُ ، وَذَبَّحَ  
 مِنَ السُّودَاوَاتِ عِدَدًا لَا يُحْصَى ، وَلَمْ يَبْقَ فِي غُرَفِ الرُّبَيَّاتِ أَحَدٌ . فَلَنُشْفِعْ  
 قَتْلَانَا غَدًا — فِي احْتِفَالٍ مَهِيمٍ — إِلَى مَقْبَرَتِنَا الَّتِي خَلْفَ السِّيَاحِ . »  
 وَلَمَّا أُنِّمَتْ « أُمُّ مَازِنٍ » كَلَامَهَا ، سَادَ الصَّمْتُ وَالْحُزْنُ ، سَاعَةً مِنْ  
 الزَّمَانِ ، ثُمَّ انْبَعَثَتْ أَصَوَاتُ — مِنْ أَرْجَاءِ الْقَاعَةِ — تَقُولُ :

« اصْبِقْنَ إِلَى خُطَابِ أُمِّ مَشْغُولٍ ! »

فَتَلَقَّتِ النَّمَلُ إِلَى « أُمِّ مَشْغُولٍ » ، وَهِيَ نَمْلَةٌ عَامِلَةٌ مُحْتَرَمَةٌ ، وَقَدْ  
 صَعِدَتْ عَلَى ظَهْرِ نَمْلَةٍ أُخْرَى تُشْفِعُ رَفِيقَاتِهَا صَوْتَهَا ، فِي وَضُوحٍ وَجَلَاءٍ .  
 وَأَرْهَفَتْ النَّمَلُ آذَانَهُنَّ لِسَمَاعِ مَا تَقُولُهُ « أُمِّ مَشْغُولٍ » .  
 وَقَدْ أُنْشَأَتْ تَقُولُ : « أَبْنَاتِي ، وَبَنَاتِ أَخَوَاتِي ، وَحَفَدَاتِي الْأَعْزَاءُ :

إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ لَنْ يُنْجَى مِنْ ذَاكِرَتِنَا ، مَا حَيَّنَا ؛ فَهُوَ يَوْمُ حُزْنٍ وَحِدَادٍ ،  
 وَقَدْ تَبَدَّلَ فِيهِ هَنَاؤُنَا شِقَاءً ، وَانْقَلَبَ فَرْحُنَا تَرْحًا . »

ولقد أقمتنا راحاً من الزمن ، في هذا الوادي الخصيب ، وقضينا فيه عهداً سعيداً ، ربنا كما تمرأشئ الأحلام . ثم دالت دولتنا ، ورومانا الدهر — في هذا اليوم الأسود — بفارح الخطوب والبحن . . . فقد رزقنا في بناتنا العزيزات . وكن مصدر سرورنا وإيناسنا ، وبرد آمالنا وأمانينا . لقد قضينا الصباح في مَرَحٍ وسُرورٍ ، في هذا الوادي الجميل ، الحبيب إلى القلوب . وها نحن أولاء : نقضى النساء حزينات ، موجعاتٍ مُفَرَّحاتِ الميول .

لقد أغارت الشقراوات على ديارنا ، واتهنن مائركنا ، من يَظِطُّ وأطفالٍ أعزاء علينا ، م مناط آمالنا ومَعِدُّ رجائنا ، واتخذن عبيداً لهن وأرقاء ، ليؤدين — في قرية الأعداء — أعمال الخدم والعبيد ، وليس لنا من أمل في عودة أبنائنا بعد اليوم ! . . . »

فبكت بنات « الشيصان » جميعاً ، حين سمعن هذه الكلمات الدامية . . .

وصمتت « أم مشغول » لحظاتٍ سيرة ، ثم استأثمت ، قائلة :  
« ليست هذه أول مرة يذهبنا فيها أولئك الأعداء . بل هي المرة الثالثة ، فيما أعلم . فقد ألفت الشقراوات الغبيطات أن يُفِرَّن على وادينا ،

ويتهبن أسلابنا ؛ ويُخربن بيوتنا ، ويستعبدن أبناءنا وبناتنا . فاحيلنا الآن ؟ ليس لنا من حيلة إلا أن نُصلح ما خربت الشقراوات من قريننا ، و . . . »

فانبعث صوتٌ ضعيفٌ ، من آخر القاعة ، يقول : « عذراً — يا سيدتي أم مشغول — واغفري لي مقاطعي لإياك !

لقد تهدم نصف بيتنا . ويُخيلُ إلي أننا غير آمنين على حياتنا ، وحيات ذرارينا . ولن نُشعر بطمأنينة في هذا الوادي ، فقد ألفت الشقراوات أن يُفِرَّن عليه ، ويفاجئنا بأحداثهن ، بين حين وآخر . ألا يجدر بنا إذن — أن نبحث عن مكانٍ آخر ، نخذه مقرّاً لنا في غير هذا الوادي ؟ »

فصاحت النبال — كلها — قائلة : « لقد أحسنتم وأصبتم ، وبِفَصْلِ الخطاب نطقتم ! »

٢٦ في الوادي الجديد

قهضت « م مازن » قائلة : « لقد اهديت — في هذا الصباح — إلى وادي خصيب ، في موقعٍ بديع ، لا يبعد عنا كثيراً ، وهو في آخر غابة صغيرة ، وأرضه في هذه الأيام طيبة رطبة ، فهي أصلح المواد لبناء جذران بيوتنا ؛ لأنها قوية لا تهدها الرياح .

ونحن - الآن - في فصل البرقوق ، ولدينا مُتَسَّعٌ من الوقت ،  
لتشييد دُورنا ، قبل حلول فصل الشتاء .  
فانبعثت أصواتُ عِدَّةٍ ، قائلّة: «لقد أصبّت في افتراحك ، يا أمّ مازن» ،  
وتحن على رأيك فيما تقررّين .

ثم استأفقت «أم مشغول» : «مادام افتراحُ أم مازن» قد لقيَ  
مكنّ قبُولاً حسناً ، فإني أنصَحُكنّ ألا تُضِيعن شيئاً من الوقت ، فيما  
لا طائلَ نَحْتَهُ .

وأرى أن تذهب طائفةُ مكنّ مع «أم مازن» في صباح الغد ، عندما  
تشرق الشمسُ ، وتُبَلِّلُ الرُّوْجَ بالندى ، لتسرقن مَوقِعَ الوادي الجديد  
ولا يفوتكنّ - أيها الزيزات - أن يَبْنِىَ بيت النمل ليس من  
الِهَاتِ الهَيَاتِ . فهل عرفتنّ ماذا يَجْدُرُ بكن أن تَعْمَلَنَهُ ، منذ الآن ؟  
فقدّمت «أم نوبة» إلى وَسَطِ القاعة ، ثم قالت :

«إني أعلمُ ذلكَ حقَّ العلم . فإن أولَ واجبِ علينا ، هو أن نَخْفِرَ في  
الأرضِ حفراً واسعةً ، حيثُ تُنشِئُ الغُرفَ ، ونُشيِدُ الأروقةَ .»  
فقلت «أم مشغول» : «صدفت ، يا «أم نوبة» .

فهل وعيْتَنَ ذلكَ ، أيها الصغيراتُ الزيزات ؟  
ولا يفوتكن أن تُنشِينَ - في بيتنا الجديد - حجراتٍ لتربية

الأطفال ، على غرارِ الحُجراتِ التي أنشأناها في بيتنا القديم . وليكنَ فيه  
قاعةٌ كبيرةٌ للاجتماع .

فقلت «أم نوبة» : «نعم . يَجْدُرُ بنا أن نُشيِدَ القريةَ الجديدةَ ، على  
نَسْقِ تلكَ القريةِ القديمةِ ، فنَجْعَلَ فيها تمازيجَ تَمُوقُ سِيرَ المطرِ عن دخولِ  
القريةِ ونُشيِدَ طابقيْن : واحداً فوق الآخر ، حتى نَأْمَنَ على ما نَدْخِرُهُ في  
فريتنا من البلل ، ونُشيِدَ فيها منازلَ ودهاليزَ وحجراتٍ مملّقةً ، لِنَمْلأَهَا  
حبوباً وذخائرَ ، لفصلِ الشتاء القادم .»  
فقلت «أم مشغول» :

«لقد وهبنا الله - سبحانه - آلاتٍ ثمينَةً ، لأداءِ هذه الأعمالِ الجليلةِ .  
فلتَحْفِرِ كُلُّ واحدةٍ - مكنّ - أرضَ القريةِ الجديدةِ ، بقوائِمِها السَّتْ ،  
ولا تُضِيعن شيئاً  
من أوقَاتِكُنَّ  
عِثاً .»



فصاح شَبَابُ  
النمل :

«السمعُ والطاعةُ لكِ ، يا «أم مشغول» !»

## ٢٧ — خاتمة القصة



ثم استأقمت « أم مشغول » قائلة :

« لَقَدْ حَانَ وَقْتُ التَّفَرُّقِ ، بَعْدَ أَنْ جَنَّ اللَّيْلُ ، وَبَقِيََتْ لِي كَلِمَةٌ ، أَفْضَى بِهَا إِلَيْكُنَّ ، قِيلَ أَنْ يَنْقُضَ هَذَا الْجَمَاعُ الْعَاشِدُ :

لَقَدْ كَانَتْ فِكْرَةُ الْهَجْرَةِ ، مِنْ اقْتِرَاحِ « أُمِّ مَازِنَ » : تِلْكَ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ ، الَّتِي فَاقَتْ — عَلَى صِفَرِهَا — كُلَّ نِمَالٍ الْقَرِيَةِ ذَكَاءَ .

وَعِنْدِي أَنَّهُمَا جَدِيرَةٌ أَنْ تَصْبِيحَ مَهْنِدَمَةَ الْبَيْتِ ، وَمَدِيرَةَ الْعَمَلِ فِي إِنْشَائِهِ . فَبَإِذَا تَرَيْنَ فِي هَذَا ، يَا بَنَاتِ الشَّيْصَبَانِ :

فَصَاحَتِ النِّمَالُ كُلُّهَا ، وَهِيَ ذَاهِبَةٌ إِلَى غُرَفَاتِ النَّوْمِ :

« أَصَبْتُ ، « يَا أُمُّ مَشْغُولٍ » ، وَوُقِّعْتُ إِلَى الصَّوَابِ ، وَأُلْهِمْتُ الرُّشْدَ وَالسَّادَةَ . فَلَئِنْ « أُمُّ مَازِنَ » ! فَلَئِنْ « أُمُّ مَازِنَ » !

القصة التاسعة : العنكب الحزين

## إلمامة بالنمل

« قَبَسْنَا هَذَا الْمَقَالَ الْفَنَيسَ مِنْ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، لِيَكُونَ مَرْجِعاً لِلْمَعْرُوفِ فِي تَلْرِيسِ قِصَّةِ « أُمِّ مَازِنَ » .

## خواص النمل

النمل حشرات صغيرة من الفصيلة الخنجرية ، وهو اجتماعي ، شديد الألفة بطبعه ، ومتى استئبنا منه أنواعاً قليلة شاذة ، رأينا سواده يخضع لهذا القانون العام ، وتنطبق عليه هذه الصفات .

وتألف كل جماعة من النمل عادة من أنواع ثلاثة : النمل العامل ، والذكور ، والإناث الخنجرية . تتلخص صفاته وخواصه العامة فيما يلي : جسم مستطيل يتفاوت طولاً وقصرًا ، ولون غامق يتألف من أصفر وأحمر وأسمر وأسود ، أو مزيج من هذه الألوان كلها أو بعضها بنسب متفاوتة .

أما رأس النمل ، فهو يختلف تبعاً لاختلاف أنواعه وفصائله ، وهو قطعة مفصّلة ، ذات فتحتين ، إحداها : فتحة صغيرة ، عند نقطة اتصال الرأس بالظهر ، وتسمى : الفتحة الخلفية . والثانية من الأمام ، وهي فم النملة ، وبها فكان قويات ، يتألف منها — على الأغلب الأعم — شكل

مثلث . وكلاهما محدد ، تشبه حافته الداخلية حد المنشار .

ولذين الفكين — عند النمل — شأن أي شأن ، فهما عظميا الخطر ، لأنهما سلاحه القوي ، وعتاده الحزين الذي يستعين به على العمل ، فهو يستخدمه كما نستخدم المنشار والمقص والكاشطة ، لتزج الأشياء ونزجها ، وكما نستخدم اليدين في حمل الأثقال وما إلى ذلك . وليس من عمل الفكين مضغ الأغذية ، فإن النمل لا يتغذى بغير المواد السائلة أو شبه السائلة ، وليس في قدرته أن يزدرد طعامه — كما تفعل — ولهذا نرى أن هذين الفكين يؤديان أعمالاً أخرى — كما أسلفنا — غير المضغ .

## أجسام النمل

وعيون النمل منحنية ، وقلمها تكون مستديرة ، أو منتظمة أي انتظام . وعيونه الملص على شكل مثلث عند الذكور والإناث . ويندر أن نراه عند العاملات التي لا تكاد ترى في رأسها — أحياناً —

عبر واحدة في منتصف جبهتها .

أما قرونه الثلاثة ، فهي متحركة إلى انحناء . تتركز على الحافة الداخلية لشرابن الجبهة .

ولا توجد الأجنحة إلا عند ذكور النمل وعذاراه . وبطنه منقسم إلى سبع حلقات للذكور ، وست للإناث والعاملات . وتنتهي كل رجل من أرجل النمل بخمسة أجزاء ، في آخر جزء منها إبرتان بسيطتان محدتان . يفصلهما شعر قصير كثيف . ويتميز النمل الخنثى ، الذكر عن الأنثى . ببطنه ذى السبعة مفاصل . ورأسه الصغير الكروي ذى العين الملس . وللإناث أجنحة كذلك . ولكنها تزايها بعد الإخصاب . سواء اجتثتها بنفسها ، أو انتزعها منها العاملات .

وتمتاز النمل العاملة بتجردها من الأجنحة . وتشرك الإناث في أن في طرف بطنها غدتين سميتين ، تفرزان حمض الفليك . وبعضها مسلح بإبر ملس أو معدة ، ينبعث منها السم في الجرح الذى تحدثه . وقبلما توجد هذه الإبرة عند جمهرة كبيرة من النمل الأخرى . فإذا وجدت فهي بسيطة نافذة لا خطر لها . وإن كانت تنفث السم إلى مسافة بعيدا . متى لمست النملة عدوها بطرف بطنها .

### طوائف النمل

وفى كل واد من وديان النمل نرى العاملات أكثر ما فى الوادى عدداً . بالقياس إلى الذكور والإناث التى لا تلتقى معاً إلا في فترات بعيدا من السنة ، مع استثناء الإناث المخصبات من هذه القاعدة . وثمة فرق كبير بين النمل فى أجسامهن . فقد يصدق بعضها . ويصغر جسمه . ويتناهى رأسه فى الضالة . بالقياس إلى جسمه ، بينما يكبر جسم بعض النمل الأخرى . ويضخم رأسه . ليتناسب مع حجم جسمه . وفى وادى النمل تختلف أعمال العاملات وأعماؤها ، فبناط ببعضها بناء الغرف والأججار ، وبناط بالبعض الآخر تربية الديدان الصغيرة . وما إلى ذلك من الأعمال .

أما النمل الكبيرة الرأس ، فإن لها قروناً قوية ، ومن سوادها يتألف جيش النمل الذى يحمى الوادى من غارة المعتدين . وقد أطلق على هذه الفئة من النمل . اسم : الجنود . وهى تقوم بحروب وانتصارات رائعة على أعدائها ، وتأتى بالأمرى إلى واديهافتسعيدها ، وترهقها بكل ما تحتاج إليه فى واديهما من الأعمال .

ويختلف النظام الغذائى للنمل ، سواء فى ذلك الأطفال الناشئون والشيوخ القانون ،

اختلافاً عظيماً . ولا يشذ عن هذه القاعدة إلى أفراد غاية فى الندرة ، لا تبال أن تأكل ما تلقاه فى طريقها من الأعشاب والمواد الحيوانية .

وهما يكن من أمر ، فإن فم النملة — بطبيعة تكوينه — لا يسمح لها أن تتغذى بغير الأطعمة السائلة — أو نصف السائلة — التى تلتقها ، أو تمر عليها لسانها حتى تلتها ، وثمة لا تستطيع أن تأكل الأطعمة الجامدة . وقصارى ما تفعله بها أن ترمقها بفكيها ، ثم تحتص ما تحتويه — فى أثنائها — من عصير . أما أشهى غذاء تؤثره النمل ، فهو أحشاء الفناص ذات العصير ، واللحوم الطرية ، ورحيق الأزهار ، ولب الفواكه الناضجة المشققة ، والمواد العسلية والزجة ، والأشربة ، والسكر على اختلاف أنواعه ، وما إلى ذلك من ألوان الأغذية .

### مزايا النمل

ولقد لفت مزايا النمل — منذ أقدم العصور — جميع الباحثين الذين عتوا بدراسة الحيوان والحشرات ، واسترعت انتباههم ، وآية ذلك ما ورد فى الأقوال المأثورة عن الأنبياء والفلاسفة الأقدمين فى العصور الغابرة السحيقة ، فقد تجلى إعجابهم بمزايا النمل . وإكبارهم مواهبه وافتنتهم بمثابرتة

وجلده ، وقدرته على العمل ، وذكائه ، وما ألمه من تعرف بعضه بعضاً ، وتبصره وبراعته فى دقائق الهندسة ، واضطلاعه بمجالات الأعمال .

وقد نوه « شيرون » — فى العام السادس بعد المائة قبل الميلاد — بهذه الميزات الباهرة ، وصار على مناجه كثير من العلماء ، وأقنعتهم بهذه الحقائق بحججهم الصادقة المؤثقة بها ، وتجاربهم التى أجروها فى القرون المتعاقبة ، حتى أصبحنا اليوم نؤمن بصدق هذه المزايا إيماناً وثيقاً لا يتسرب إليه الشك ، ونكبر ذكاء النملة وذاكرتها العجيبة . التى تهديها إلى تعرف بعضها بعضاً ، وتبادل المراسلات فيما بينها ، والتكاتف على أداء الواجبات والأفروض المشتركة التى تضطلع بها جميعاً .

### مساكن النمل

وتعيش أسراب النمل كلها — إذا استثنينا منها بعض شواذ نادرة — فى مساكن مشتركة ، يطلق عليها اسم : وادى النمل ، وهى — على الأغلب الأعم — مؤلفة من طبقات عدة ، ذات أروقة ، وغرف للهبوية ، وغرف للفقس وتربية البيض والعذارى ، وفى بعض الأحيان ترى فيها حائز للزاد .

وقد قرر أحد العلماء عام ١٨٨٥ فى كتابه عن النمل ، ما يلى :



إن فن النحال - في بناء مساكنها - يختلف باختلاف أجناسها ، فإن لكل نوع بعينه طريقة بعينها ، في بناء بيته وتنسيقه . وتستطيع العين المخبرة دائماً أن تميز النحلة العاملة ، التي تحفر الغرف والأروقة والمساكن . وما يسترعى الانتباه : شخصية المهندس الذكي من النحال ، وطرقه في هندسة البيوت ، وهي تختلف طرائق الحياصيص والنحل في بناء خلاياها . فإن مهندس النحل لا يعمل بالمثلث والبيكار . ولا نعي بقياس الخطوط المستقيمة والزوايا . بل هي تعدل إلى مسارية ميلها وإلمامها . والاستسلام لغريزتها وابتكارها . وهي ترتجل - من فورها - نظام البيت الذي تسكنه . ونشئه مبتدعاً على غير نهج مرسوم ، أو خطة بعينها ، أو هندسة مقررة . وثمة نرى غرفها وأروقها ودهاليزها وسرديها كثيرة التنوع ، مختلفة الأوضاع ، متباينة الأشكال . ولكن مجموع البناء ، على اختلاف طرائقه ونخططه ، مطبوع على الدقة والتناسق . وهو يتم - في كل أوضاعه - على عقريّة مبتكره ، وحذقهم في الهندسة . وتفننهم في أساليبها .

وإن دهشتك لتشتد . ويتعاطلك العجب : حين تنعم النظر في أساليب العاملات الصغيرات في بناء البيوت ، واستعدادها

الداخلي ، وتنوع الطرق والمعدات التي تلجأ إليها ، إذ تحفر أروقها تحت الأرض ، وتوصلها بسطوحها عند فتحة نعيمها ، أو عدة فتحات . وقد تنبئ فرصة سانحة لبناء وادها تحت صخرة منبسطة تتحصن بها . وربما أنشأت على بيتها قبة أو ثلة أو ربوة مكونة من مواد مختلفة ، كالحشائش اليابسة وأعشاب النبات وسوقه ، وما إلى ذلك .

ومن النحال ما يحفر الخشب ، أو ينقشه ، ويهيئ غرفه ! بعد أن يصنع عجينة يستعملها في تنفيذ أغراضه ، وربما عمدت النحال إلى اتخاذ بيتها بين الأخاديد أو الأعشاب المرتفعة ، أو في ثنايا أوراق الشجر الكثيفة الملتفة ، أو ثغوب الأشجار وفجواتها الطبيعية ، وما إلى ذلك . وقد يصل ارتفاع اللال والكبان التي نأري إليها النحال ، وتتخذ فيها بيوتها ، إلى علو متر أو مترين ، من القطر إلى القاعدة . وربما شيدت مرتفعات متباعدة . وإن لم تكن في مثل هذا العلو - على طول الطريق أو موازية لسياج طويل من الأعشاب . وقد تنشئ مساكنها في ثنايا الصخور المشقوقة وأسوار المنازل ، وربما أنشأتها داخل البيوت ، أو في ثغوب الخشب ، أو في جملوع الأشجار القديمة .

### تلاقح النحل

وفي زمن بعينه من كل عام - يختلف تبعاً لاختلاف أنواع النحل - يخرج الذكور من واديهم جماعهم وطوائف ، وتخرج الإناث منبثات للإخصاب في ذلك الوقت . فيطير الذكور في أثرها ، ويلتق الفريقان في الجو ، ويتم هذا التلاقح - عادة - في وقت حار .

ومتى كان الذكر أكبر من الأنثى بكثير ، لجأ إلى الإخصاب في الهواء حيث تحمله الريح على ظهرها . فإذا تناسب جسمه وجسمها ، فإنه يقبض عليها . وهي طائفة . ثم تتم عملية الإخصاب على الأرض . ولا تلبث عملية التلقيح - عادة - إلا بضعة دقائق . ثم يأتي ذكر آخر فيلقح الأنثى نفسها مرة أخرى . ومهما يكن من أمر ، فإن الذكور - بعد أن تتم تلقيح الإناث - تظل هائمة ، تعصف الطيور على غير هدى ، وقد امتلأت نفسها بأماً ، وأحست - في أعماق نفسها - أنها قد أصبحت متبذلة . عديدة الجنوى . ثم لا تلبث أن يقتلها الغم والأسى . أو تلهمها الطيور وسباع الحشرات !

أما الإناث فتبقى إلى الأرض - بعد أن تتم عملية الإخصاب - وتتعلق أجنحتها

الضعيفة ، ثم تذهب النحال العاملة باحثة عن هذه الإناث ، فتجتمعها ذاهبة بها إلى وادها الذي خرجت منه .

وإذا رأينا في عالم النحل ملكة واحدة مخصبة ، فإننا نرى - على العكس من ذلك - في وادي النحل كثيراً من الإناث المخصبات ، في وقت واحد ، ومكان واحد . وهي تعيش جميعاً على أتم وفاق وأسعد عيش ، وتقوم العاملات بخدمة العناية بأمرهن ، من غير أن تميز واحدة منها على الأخرى . وتظل النحلة - بعد عملية التلقيح - مخصبة طول حياتها . فلا تحتاج إلى تلقيح الذكر ، مرة أخرى . وتظل ثمانى سنوات أو تسعاً وهي قادرة على البيض ، دائبة على تنمية عدد المواليد في قرية النحل بلا انقطاع .

أما بيض النحل فهو يماثل - عند وضعه - حبوباً طويلة بيضاء ، أو صفراء ، أو غامقة اللون ، ومتى وضعته الإناث المخصبات جاءت العاملات فيجمعه وترتبه أكوماً صغيرة . ولا تغفل لتلقه ، حتى يكبر حجم البيض - بفضل عناية - ويشغل أونه ، ثم يفسد ، فتخرج من كل بيضة دودة . وهذه الدودة مختلفة الأشكال تبعاً لأنواعها . ولكنها - على تباين أجناسها - عمي : بيض ، في جسم كل منها اثنا عشر حراً ، تبدو للفاحص المتأمل ، ورأسها أصغر

من جسمها بكثير ، وهو مائل إلى الأمام .  
أما قسمها الأعلى ، فهو ضيق مقوس  
ينتهي بطرف دقيق . وأما أسفل جسمها ،  
فهو مستدير منتفخ قليلا . وليس في استطاعة  
هذه الديدان أن تنفذ إلا إذا تعهدتها  
العاملات بالغذاء ، ونفتت في أفواهها  
عصيرا مغليا مما تدخره في بيوتها لهذه  
الولارى الناشئة .

ولا تقتصر العاملات على هذا القدر  
من العناية ، بل تزيد عليها ، فعننى  
بتنظيف هذه الديدان ، ونقلها من مكان  
إلى آخر في أرجاء الوادى ، في الأوقات  
المتخلفة من النهار ، لتقيها غوائل البرد  
والرطوبة ، وتعرضها لأشعة الشمس الحارة  
التي تكسب أجسادها الحياة والقوة .

وبنى اجتازت الديدان دور النمو ،  
استحالت إلى عذارى . ولن تم هذا الدور  
قبل أن تنفض عليها فترة تتفاوت بين شهر  
وسبعة أشهر . فإذا تم نماؤها ظهر جسمها  
عاريا ، أو ملفوفا في قشرة حريرية .  
تحتوى - في أنثائها - تلك الحشرات كاملة .

#### جماعات النمل

وجماعات النمل - في أغلب حالاتها -  
جماعات بسيطة مؤلفة من أفراد متماثلين .  
وربما رأيت أفرادا من النمل متبطلين

لصناعة لهم ، ولا عمل يشغلهم ، ولبس  
في قدرتهم أن يسبحوا - مع أبناء جنسهم -  
في الاضطلاع بعبد من الأعباء ، فهم  
لا يكلفون أنفسهم عناء البناء أو تعهد  
الديدان بالترية . وقد يشتد بهم العجز  
والقصور ، حتى يعجزوا عن تغذية أنفسهم .  
وتنه نشأت حاجتهم إلى مساعدات وخادعات  
يقمن بأداء الأعمال المنزلية في وادى النمل  
ومساكنه . وقد حفزتهم هذه الحاجة الشديدة  
الملحة إلى الإغارة ، بلحلب الأسرى واستعباد  
الأرقاء . وهى لا تألو - في سبيل ذلك -  
جهدا ، وتنفق وتشتد في تحقيق رغباتها .  
فتستولى على العذارى ، وتغير على الديدان  
التي لم تخرج بعد من غلافها ، فتنتقلها  
إلى مساكنها . ولا يلبث النمل الصغير أن  
يخرج من قشوره ، ثم يصبح طوع لإزادة  
مادته المغيرين ، ويلبى أوامره ورغباتهم  
بلا تردد ، من غير أن يعرف أنه قد قسم  
له أن يكون فريسة اعتداء الجائرين ،  
وجشع المستبدين .

وهذه الطائفة من الجماعات النملية الغريبة ،  
يربى لنا التاريخ عنها غرائب خطيرة ،  
ويحدثنا عن عجائب البيوغرافية التملية التي  
تبده الباحثين الذين يطلقون عليها «جماعات  
النمل المختلطة» . وإنما أجمعوها كذلك ،  
لأنها مؤلفة من الرؤساء وأتباعهم من الأرقاء

المستعبدين ، حيث يعيشون في واديهم على  
أتم وفاق .

وترى في ذلك الوادى - عادة - غلة أو  
جمهرة من النمل الخصبات . وإلى جانبهم  
العاملات ، فإذا حان فصل النتائج رأيت  
النمل المخصصة من الجنسين كليهما .

أما النمل التابعة المستعبدة . فليست  
على الحقيقة - إلا عاملات . لا هم لها  
إلا خدمة النوع ، والتضام في أداء  
ما تحتتمه المصلحة ، وتوجيه نشاطها  
وهارتها إلى خير هذه المستعمرة ، وخدمة  
الجماعة القليلة ، دون أن يكون لها ، في ذلك  
أى نفع ذاتي تصببه من هذه الجماعة .  
والتنمل صلات وثيقة ببعض الحشرات .  
سواء منها ما يعيش في واديه ، وما يذهب  
النمل للبحث عنه في خارج الوادى ، ولعل  
أحب تلك الحشرات الخارجية إلى نفسه .  
هى البراغيش . التي ينتمس النمل من  
أجسادها مائلا سكريا ، يرى فيه أشهى  
طعام يحبه ويؤثره على كل غذاء !

#### آراء بعض الباحثين

ويقول بعض الباحثين الفعات : إن  
النمل لا يزن مؤونة له : وإنه يهلك في  
أوقات البرد القارس أو يتنضخ ، ويقرر  
آخرون من الحكماء عكس هذا ، وقد

وصفوا هذه الحشرة - منذ أقدم العصور  
الصحيقت بأنها رمز للتبصر ، ومثال الادخار .  
وفى هذا الكلام تناقض في ظاهره ، وإن  
كان من السهل على الباحث أن يوفق بين  
هذه التناقض ، ويوائم بينها ، لاختلاف  
أنواع النمل وأجناسه ، فإن ما يصدق على  
فئة بعينها من النمل ، لا يصدق على غيرها  
من الأنواع . فليس من سبيل إلى الشك  
في أن نمل المناطق القطبية والمناطق  
المعتدلة ، تختلف نمل المناطق الحارة  
أشد الاختلاف .

وإن الباحث المتأمل في طبائع النمل  
ليجد - على الحقيقة - أنواعا منه تسمى :  
« النمل الخاصة » . وهى قادرة على تحمل  
البرد القارس ، والسعى إلى رزقها . وجلب  
مؤنتها في الشتاء ، كما يرى ذلك في جنوب  
أوروبا . فإن هناك نوعين ، يكمنسان في  
نهاية الوادى ما يدخرانه من الزاد ، في  
غرف خاصة ، تحوى من الحبوب والغلال  
والنباتات شيئا كثيرا . وربما وجد فيها  
كثير من جنى الحقول والحدائق . لتكون  
زادا للنمل عند الحاجة .

#### النمل والحراة

وقد كتب أحد العلماء أن أول ما ينتاز  
به النمل - من الوجهة الجغرافية - اتساع

ساكنه ، وتعدد جماعته ، وتنوع فرقته . وأن النمل يكثر تبعاً لاشتداد الحرارة . فكلما دفوت من خط الاستواء ، رأيت ازدياد أنواعه ، حتى لتبلغ في المنطقة الحارة أقصى حد . ولا تكاد تصل إلى الدرجة الخامسة والستين من خطوط العرض ، حتى تختفي أنواع النمل قاطبة .

وقد اهتمنى الباحثون إلى نحو أثنى نوع من النمل منها زهاء مائة وعشرين تقريباً ، تعيش في أوروبا .

أما أقدم نوع عرف من النمل ، فهو النملة الشقراء ، وهى لا تكاد تعرف موطناً لها إلا في الغابات الكبيرة . وهذه النملة جريئة مشاكسة ، ميالة بطبعها إلى الخصومة واللدد ، مغرمة بالعداء والحرب . وهى تتكلف بسبها إلى مسافة بعيدة ، تبلغ ستين سنتيمتراً ارتفاعاً .

وثمة نوع آخر غريب منها ، يستولى على وديان النمل ، بعد أن يطرد ساكنيها . وهناك نمل آخرى تعيش في جوف الأرض ، ولا يكاد يعرف عن طبائنها شيء .

وهناك نوع من النمل ، يعيش في إفريقية الاستوائية الغربية ( سيراليون والكاب وما يماورهما من الأصقاع ) . وهى عسفى ، تتحاشى ضوء النهار ، وتكثر من الرحلات ،

ولا تتخذ لها مقاماً ثابتاً ، وكلما نزلت مكاناً ، أو حلت علة ، حفرت لها موئلاً تحت الأرض بسرعة فائدة . وهى لا تمشى إلا في الأيام الغائمة ، التى لا تطلع فيها شمس ، أو في الأمسيات والليالي . وتؤلف ، في أثناء سيرها ، كتاب هائلة ، ولا يصدها عن غايته أى حائل ، ولا تلتفتها أى عقبة .

وهذه النمل هى مصدر من مصادر الرعب الذى يستولى على زئوج إفريقية من سكان تلك القرى . فلأنها تضطرم في أكثر الأحيان إلى مغادرة أكواخهم حين تغير عليهم . ولا يزالون يرقبون ابتعاد كتابها بفارغ الصبر .

وهناك أنواع أخرى من النمل المنتشرة في جميع أنحاء العالم لاسيما في « فلوريدا » و « كالورادو » و « تكساس » و « المكسيك » الجديدة ، التى استرعت نظر « دارون » ، للمرة الأولى ، في عام ١٨٦١ ، إذ نشر عنها أحد العلماء ملاحظاته العجيبة ، ثم تولى الباحثون في درسها بعد ذلك .

وهذه الحشرات عجيبة حقاً ، وهى تستطيع أن تزرع الأرض ، وتبلى البذور وتحصد الزرع ، وتزبل من حقلها كل نبات آخر ، يعوق نمو تلك البذور .

### نمل البرازيل

وهناك نمل مفترسة شتى ، كثيرة الأنواع ، تكثر في « البرازيل » و « جوانا » وجميع أرجاء « أمريكا الوسطى » ، وهى رخالة ، بأوسع ما تعنيه هذه الكلمة . فهى لا تفر في مكان بعينه . وهى دابة السفر من جهة إلى أخرى ، فإذا مشت سارت صفوفاً متراسة . وربما أوفدت من كتابها فرقة كشافة لتستطلع الأرجاء المجاورة ، وتنجوس خلالها وتفتش كل ثغرة فيها ، وكل ورقة ساقطة ، وكل عود من الحشائش . فإذا تم لها ما تريد ، بدأت الغارة شاملة عامة ، واقتحمت كتاب النمل كل ما يصادفها في طريقها ، ومزقت ما يعترضها في سبيلها من الحشرات والعناكب والديدان ، وربما فتكت أيضاً بصغار الثعابين .

فإذا اعترضها في طريقها منزل مأهول ، اقتحمته كتيبة منها ، فشردت سكانه كل مشرد ، ولم يروا أمامهم إلا الفرار من هذا العدو الباطش المدمر .

وهما تحدته هذه النمل القوية المتوحشة من أضرار ، فإن ما ينجم عن إغارتها من القوائد ، ينسى السكان كل ما تكبدوه من خسائر وأضرار ، فهى تفنك بالعقارب ، والعناكب ، والبعوض ، والثعابين ، والقار ،

وما إلى ذلك من الحشرات الضارة ، فتنهز المكان الذى تحل فيه تنهزاً . ولهذا يزعمون أن الأهليين - في بعض هذه الأقاليم - يرقبون إغارة هذه النمل عليهم بفارغ الصبر . ويعدون مقدمها - على ما فيه من أضرار - نعمة وبركة ، وخيراً عماها .

### نمل العسل

وهناك نوع من النمل ، يعرف في بلاد « المكسيك » باسم : نمل العسل ، وهو يعيش في وديانه : جماعات مؤلفة من الذكور والإناث والعاملات والعاملين . وبعضه يشبه - في مظهره - النمل العادى ، والبعض الآخر يختلفه ، لانتفاخ بطنه انتفاخاً شديداً ، وإنما كان كذلك لإفراطه في الغذاء .

أما لون بطنه فهو شفاف عنبرى ، وهذا النوع بطيء الحركة ، لا يكاد يتحرك من مكانه . فهو يظل جامداً ملتصقاً ببعضه ببعض تحت الأرض . وفى بطون هذه النمل شراب سكرى ، غير مبلور ، يماثل طعمه العطرى طعم عسل النحل ، ويقبل المنود المكسيك على هذا الشراب السكرى ، في شراهة عجيبة ، ويتحلبونه في أفواههم كأشهى غذاء ، ويمزجون به بعض أطعمتهم لتكون من أفخر أنواع الحلوى .

## الثَّلَاثَةُ

[ تَوْحُّدٌ مُخْتَارٌ مِنْ كِتَابِ « تَهْجِ الْبَلَاغَةِ » . ]

أَنْظَرُوا إِلَى الثَّلَاثَةِ - فِي صِفَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ  
تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ - كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصَبَّتْ  
عَلَى رِزْقِهَا : تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى مَسْكِنِهَا وَتَبْدِئُهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا .  
تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِجَرْدِهَا ، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ  
بِرِزْقِهَا ( طَائِفَتُهَا وَكَيْفَاتُهَا ) .

وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَنْكَلِهَا ، فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا ، وَفِي  
الْجَوَفِ مِنْ شَرَايِفِ بَطْنِهَا ( أَطْرَافِ الْأَضْلَاعِ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى  
الْبَطْنِ ) ، وَمَا فِي الرَّأْسِ : مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا . لَقَضَيْتَ - مِنْ  
خَلْقِهَا - عَجَبًا ، وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَبَعًا .

رقم الإيداع	١٩٨٧ / ٢٣٤٦
الترقيم الدولي	٩٧٧-٠٢-١٩٧٩-٢
ISBN	

١ / ٨٦ / ٣٠١